بعض المبادئ العلمية في الفكر التربوي الإسلامي في القرن الثاني الهجري وحاجة العلماء والمؤسسات العلمية المعاصرة إلى ممارستها

أحمد أحمد الآنسي

أستاذ أصول التربية المشارك

رئيس قسم أصول التربية. كلية التربية. جامعة صنعاء

2003
١٤٢٤
جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية
Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

ISSN : 2410-1818

بعض المبادئ العلمية في الفكر التربوي الإسلامي في القرن الثاني الهجري وحاجة العلماء والمؤسسات العلمية المعاصرة إلى ممارستها

مقدمة:

تعيش الأمة الإسلامية في معظم مجتمعاتها في العصر الحاضر تخلفاً علمياً فرض عليها أن تبقى في قائمة المجتمعات الأقل نمواً والأكثر فقراً، وهذا التخلف العلمي انعكس تخلفا في كل مناحي الحياة، ومن المؤكد أن أية رغبة في النهوض والتخلص من هذه الوضعية المتخلفة لا يمكن أن تترجم على أرض الواقع دون أن تتوفر جملة من المطالب المادية والبشرية التي تعمل على تحقيق رغبة الأمة، وإلى جانب توفر الإمكانات المادية والبشرية لابد من توفر الإرادة الصادقة لدى كل من يعنيهم الأمر بدءً من رأس الدولة وانتهاء بالمواطن البسيط، على الجميع أن يساهم في إحداث هذه النقلة وهذا الإقلاع الحضاري الذي يؤكد بالفعل الاهتمام الجاد والصادق بالعلم، وجعله منطلقاً للنهوض في كافة المجالات.

وإذا ما توفرت الإرادة في النهوض وتوفرت معها الإمكانات الممكنة، فإن أمراً آخر لا يقل أهمية من الضروري أن يكون حاضراً ومتحققاً وأن يكون سلوكاً عملياً مشاهداً ذلك هو أن تترسخ القيم والمبادئ والمعايير والضوابط العلمية والتي من شأنها احترام العلم والبحث العلمي ووضعهما في المكان الذي يليق بهما، ورفع ما يخصص للتعليم والبحث العلمي من الدخل القومي من أجل أن يتمكن من القيام بدوره في النهوض والتقدم، ورفع مكانة العلماء والباحثين وتقدير دورهم، والعمل على استقلالية المؤسسات العلمية والنأي بها عن التدخلات والصراعات والمناكفات السياسية، ونشر الروح العلمية والحرية الأكاديمية في الأوساط العلمية والاجتماعية؛ لأن في عدم وجودها أو عدم احترامها من شأنه أن يفرض واقعاً متخلفا بعيداً عن البيئة العلمية التي يجب أن تكون منسجمة مع ما تتطلبه الحياة العلمية من قيم وآداب

ISSN : 2410-1818

ومبادئ أصيلة تليق بالعلم وحامليه، وغير متوافقة مع ما يفرضه العلم على المجتمع من احترام وتقدير للعلم والعلماء.

ومن أجل ترسيخ القيم والآداب التي يمليها الإسلام على أبنائه ويفرضها على العلماء وطلاب العلم وعلى أبناء المجتمع فإن الأمر يتطلب الوقوف على المبادئ العلمية الراسخة والآداب الرفيعة التي وردت في القرآن والسنة، وما أضافه العلماء عبر عصور الإسلام المختلفة، مع التركيز على القرون الهجرية الثلاثة الأولى التي هي خير القرون، ومنها القرن الثاني الذي هو موضوع البحث، لتكون نبراساً مضيئاً يستفاد منه في الحياة العلمية في المؤسسات العلمية المعاصرة لتسير على منهج الإسلام في كل أمور الحياة، ومنها الحياة العلمية.

ويركز هذا البحث على عدد من المبادئ العلمية التي تميزت بها الحياة العلمية التي مارسها السلف في إطار المجتمع المسلم وهي نزر يسير جدا من مبادئ وآراء تربوية كثيرة جدا بحاجة إلى الوقوف عليها بهدف الأخذ بالنافع والمفيد منها وجعلها سلوكا ممارسا عند الخلف في الحياة المعاصرة، مع مراعاة أن تكون البيئة العلمية والاجتماعية والسياسية ملائمة والفكر نقي صاف، وكذا مراعاة التغيرات الزمانية والمكانية والظروف والأحوال والمصطلحات.

لقد ترسخت في القرن الثاني الهجري مبادئ علمية عديدة في الوسط العلمي بين العلماء، وانعكس احترامهم وممارستهم لهذه المبادئ العلمية على المجتمع بكل فئاته وكل مؤسساته، وكان انعكاسها بشكل أعمق بين أولئك الذين يعرفون فضل العلم ومكانة العلماء، سواء كانوا من الخاصة أومن العامة .وكانوا غالبية المجتمع، ونظراً لما لهذه المبادئ العلمية من أهمية تعود بالنفع على المجتمع بكل مؤسساته وفئاته المختلفة، ولأن الحاجة ماسة في العصر الحاضر لاستحضارها بقصد التأسي بها وذلك بتفعيلها وجعلها سلوكا مطبقا في الأوساط العلمية من أجل أن يحصل الاقتداء بالعلماء من طلبة العلم أولا، ومن الفئات الاجتماعية المختلفة ثانيا، وليدرك الجميع ما يجب أن يحظى به العلم والعلماء من مكانة وتقدير، وبهدف محاولة الوصول إلى تحقيق ذلك يأتي هذا البحث ليعرض جملة من تلك المبادئ التي هي جزء يسير من منظومة واسعة من الآداب والقيم العلمية التي ترسخت في ذلك العصر حتى صارت بمثابة القوانين التي

ISSN : 2410-1818

تحترم ولا يمكن تجاوزها أو مخالفتها لا من قبل العلماء ولا من قبل طلاب العلم، ولا من قبل المسئولين عن المؤسسات العلمية، ولا من قبل الحكام ولا من قبل الخاصة ولا العامة.

ويأتي الحديث عن هذه المبادئ العلمية في ظل الواقع العلمي الملموس في المجتمع المسلم عامة تجاه العلم وأهله ومؤسساته والنظرة إليه من محيطه الاجتماعي والثقافي والسياسي، وكذا من حيث العائد الاقتصادي على العالم وعلى المجتمع يؤكد أن هذا الواقع سيئ فلا نرى اهتماما جادا بالعلم ومعرفة صادقة بفضله وقيمته، ولا نرى تكريما للعلماء وتبجيلهم ومعرفة مكانتهم وتقدير ما يقدمونه للمجتمع، ولا شك أن هذا الواقع السيئ قد شارك وساهم في الوصول إليه العلماء أنفسهم بعدم احترامهم للعلم وتقديرهم لمسؤولية حمله وجسامة هذه المسؤولية وخطورتها، وكذا عدم احترامهم وتقديرهم وتسامحهم مع إخوانهم العلماء، هذا بدوره أدى إلى عدم احترام الآخرين للعلم والعلماء سواء الحكام، أو المؤسسات الحكومية، أو أبناء المجتمع عامة، وهذا الواقع يعد سببا رئيسا في تدني المستوى المعيشي للعلماء نتيجة تدني ما يتقاضونه من راتب في أي مؤسسة علمية أو جهة حكومية يعملون فيها، مما دفع الكثير من العلماء إلى البحث عن الحياة الكريمة خارج الوطن في بلدان أجنبية وبعضهم في بلدان عربية فيهاجرون إلى تلك الأوطان ويحرمون بلدانهم من خير كثير ومن عائد اقتصادي كبير يقدمونه بالمجان لتلك البلدان التي يهاجرون إليها، فضلا عما تسببه هجرة هذه العقول من تخلف وتأخر وخسارة اقتصادية فادحة جدا.

وخطورة هجرة العلماء من أوطانهم أضحت مسلمة من مسلمات العصر الحديث والمؤسف أنها بفعل الحروب وعدم الاستقرار وضعف الوعي تزداد لتصل إلى أعداد مهولة مما يزيد من آثارها الضارة السالبة على تلك المجتمعات التي تفتقد تلك العقول التي كلفتها أموالا طائلة لتتنازل عنها لغيرها بالمجان.

إن تخرج آلاف بعد آلاف من الأطباء والمهندسين والمعلمين والأكاديميين والمتخصصين في فنون متعددة من التخصصات من أبناء تلك البلدان التي تصنف على أنها من دول العالم النامي، والذي كان الهدف من تعليمهم أن يسدوا حاجة مجتمعاتهم كقوى بشرية منتجة ذات كفاءة عالية، وعندما نبغ بعض العلماء من أبناء هذه

ISSN : 2410-1818

البلاد ، وبدا أنه يمكن قطف الثمار من أعمالهم إذا بعدد كبير منهم يغادرون بلدانهم إلى بعض دول العالم المتقدم، أو يبقون فيها بعد انتهاء دراساتهم للعمل بها ، والتمتع بما فيها من فرص الحياة الواسعة والعريضة ، أو يذهب بعضهم إلى دول يحصلون منها على أجور مادية عالية، ونتيجة لذلك تتعثر خطط التنمية وخطط التعليم جزء منها لأنها تواجه مشكلة نقص الكوادر العالية من أصحاب الكفاءات النادرة التي تشكل محورًا أساسيًا ومهما من محاور التنمية (مرسي، محمد عبد العليم، كارثة في العالم الإسلامي مأساة النزيف البشري وهجرة العقول، القاهرة: دار الصحوة للنشر، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦،ص ٣٥ -٣٦) بتصرف.

وآثار تلك الهجرة تنعكس سلبا على "المردود الاقتصادي الذي انتظره المخططون التربويون من عمليات التربية ومخرجاتها الذي يأتي مخيبا لآمال كثير من شعوب العالم الإسلامي بسبب الاستمرار في خروج تلك الفئة من أبنائها وتركها لبلادها دون أن تؤدي ما عليها من واجبات لمجتمعاتها، ومعلوم أن ملايين من أفراد هذه الشعوب يعملون من شروق الشمس -وأحيانا قبله -حتى غروبها -وأحيانا بعده - حتى يستطيعوا توفير المباني والأجهزة والمعدات والمعامل والمكتبات وإعداد هيئات التدريس، وتوفير الأموال التي تمكن أبناءها أن يتعلموا العلوم التي يحتاج إليها أبناء تلك المجتمعات، ثم تجد في النهاية أن الحصيلة تكاد تساوي الصفر أو تقترب منه" مرسي، المرجع السابق، ص٣٦ -٣٧ بتصرف يسير.

"إن الأمة المسلمة تمتلك التجربة الحضارية التاريخية العالمية التي شاركت فيها بفرص متكافئة كل الألوان والأجناس والأقوام والشعوب والمناطق الجغرافية، فجاءت حضارة إنسانية ساهم في بنائها الجميع...هذا يضاف إلى ما تمتلكه الأمة المسلمة اليوم من الرصيد البشري والطاقات الروحية، والخامات المادية، والموقع الجغرافي، لذلك يبقى السؤال الكبير المطروح: ما الإشكالية التي تحول دون استرداد الدور الغائب ؟ وأين موطن الخلل؟ وكيف يمكن للأمة أن تسترد دورها في الشهود الحضاري، وتقدم للناس رؤيتها الحضارية مقرونة بالنماذج العملية والتلازم بين الفكر والفعل كما أراد الله تعالى لها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

ISSN : 2410-1818

شَهِيدًا ﴾(البقرة، آية ١٤٣) "(حسنة، عمر عبيد، مقدمة كتاب الأمة :الرؤية الإسلامية والمسألة الحضارية عبد الله محمد الأمين، العدد١٥٣، محرم ١٤٣٤هـ، السنة الثالثة والثلاثون، وزارة الأوقاف دولة قطر، ص ١٠،بتصرف يسير.

"والحقائق التي لا مهرب من الاعتراف بها هي أن الأمة المسلمة تمتلك النبوة الخاتمة، والقيم الصحيحة الخالدة في الكتاب والسنة، وتمتلك تجسيدها في أنموذج الاقتداء، وتمتلك التجربة التاريخية الحضارية، وتمتلك الطاقات البشرية والروحية، والخامات المادية، ومع ذلك تفتقد الأهلية والفاعلية والبصيرة، وتغيب عنها ملكة الفرقان، التي تمكنها من التفاعل مع هذه الحقائق، وتعاني من التخلف والتراجع الحضاري على الرغم من كل الضجيج والعجيج والدعوات والادعاءات بالتميز والانجاز التي قد يوبخها الواقع في كثير من المواقع" (المرجع السابق، ص١١).

إن هدف هذا البحث هو التحفيز والحث والدفع إلى تطبيق وتفعيل بعض المبادئ العلمية في نطاق المؤسسات العلمية وبين أعضاء هيئة التدريس في هذه المؤسسات نظرا لما لتطبيقها والعمل بها من آثار إيجابية تنعكس على الأفراد وعلى المجتمع وعلى تلك المؤسسات المعنية بتطبيقها في الواقع العملي نظرا لما تحتله هذه المؤسسات من مكانة في المجتمع حيث يعلق المجتمع عليها الكثير من الآمال والطموحات في النهوض به في كافة شئون الحياة، فإذا كانت مثل هذه المبادئ مطبقة ومترسخة في هذه المؤسسات العلمية وبين المنتمين إليها فإن ذلك يعد مؤشرا إيجابيا على إمكانية تطبيقها في باقي المؤسسات المجتمعية، وإذا لم تطبق في المؤسسات العلمية فهو مؤشر سلبي على عدم إمكانية تطبيقها في المؤسسات المجتمعية الأخرى.

ومن المؤكد أن تطبيق أي مبدأ علمي في المؤسسات العلمية قبل غيرها من مؤسسات المجتمع بحاجة إلى ترسيخ وتطبيق منظومة من القيم الخلقية والأسس والمبادئ والتقاليد العلمية التي إن حصل الالتزام بها وتم تفعيلها وتطبيقها نصا وروحا على الأفراد والمؤسسات فإن ذلك سيكون الخطوة الأولى في الطريق الصحيح، وسيكون ذلك دليلاً ومؤشراً على مكانة العلم وعلى احترام العلماء، ومعرفة قدرهم ومكانتهم بالفعل والممارسة والتطبيق وليس بالكلام فقط، كما يعد ترسيخها

ISSN : 2410-1818

وتفعيلها في الواقع العملي مؤشراً على أن هذه المؤسسات تسير وفقا لما تتطلبه المؤسسات العلمية العالمية من توفر المعايير الأكاديمية في أي مؤسسة علمية، وتوفر المعايير والشروط في العاملين في هذه المؤسسات، وفي كل ما له صلة بأداء مهامها ووظائفها ومدخلاتها ومخرجاتها لا بد أن ينسجم كل ذلك مع المتطلبات العلمية العالمية في الاعتماد الأكاديمي والجودة الشاملة، وعلى ذلك فإن الاستفادة من هذه المبادئ وغيرها بتطبيق ما يتناسب منها مع الوضع الراهن ومع المعايير المطلوبة اليوم، وهذا سيكون مؤشرا إيجابيا على أن المؤسسات العلمية بدأت تخطو خطوات واثقة وصحيحة نحو التقدم والحضارة .

دوافع اختيار البحث:

هنالك جملة من الأسباب والدوافع جعلت الباحث يختار هذا البحث منها:

١) ما تعيشه المجتمعات المسلمة عموماً واليمن خصوصا من وضع متردي في كافة مجالات الحياة، ومن أبرزها المجال العلمي حيث يبدو واضحا أن الأمة عموما قد تنكبت طريق العلم فلم تستمر في الترقي العلمي والحضاري الذي وصل إليه سلف هذه الأمة، بل توقفت عن التقدم وتراجعت خطوات كبيرة إلى الخلف لأنها لم تعد ولم تهيئ لهذا النهوض والترقي العلمي والحضاري ما يتطلبه من إمكانات وبنى تحتية بشرية ومادية، كما أنها أغفلت جانبا مهما من جوانب النهوض العلمي وهو توفير البيئة المناسبة لهذا النهوض بما تتطلبه من تطبيق مبادئ ومعايير كثيرة بين كل أفراد المجتمع، وفي كل مؤسساته ومجالاته، وفي مقدمة ذلك المؤسسات العلمية سواء في متطلبات مادية أو بشرية أو ضوابط ومعايير تتعلق بالعاملين في هذه المؤسسات أو في برامجها ومناهجها وإمكانياتها، وما تتطلبه هذه المؤسسات من مبادئ ومعايير ذات صلة بالكفاءة العلمية وبالحرية العلمية التي يجب أن تتهيأ للعالم والمتعلم وللبحث العلمي عموما.

٢) إن الأسس والمبادئ والتقاليد العلمية النابعة من الإسلام فكراً وممارسة أضحت غريبة على المسلمين في واقعهم الذي يعيشونه اليوم، وأضحت الحرية العلمية والتقاليد العلمية والالتزام بأخلاق العلم والعلماء في التعامل مع العلماء أنفسهم ومع

ISSN : 2410-1818

طلبة العلم ومع الرؤساء والمرؤوسين ومع فئات المجتمع هذه الأمور أضحت غريبة وبعيدة عن الالتزام والتطبيق لدى فئات كثيرة من العلماء والباحثين، ومما يؤكد ذلك عدم الالتزام من قبل كثير من هؤلاء بتطبيق القوانين واللوائح المنظمة فيما يتعلق بالالتزام التام بأداء الواجبات كاملة غير منقوصة مثل الالتزام التام بالعمل التدريسي والمكتبي والبحثي وخدمة المجتمع في المؤسسة العلمية التي يعمل بها عضو هيئة التدريس، وغير ذلك من المسائل التي أضحت غريبة وبعيدة عن التطبيق في واقع المؤسسات العلمية الحكومية في المجتمع اليمني، وهو أمر مزعج ومؤلم حدوثه في هذه المؤسسات ومن قبل من يعدهم المجتمع النخبة المثقفة وعلماء الأمة وعدتها في النهوض ويعلق عليهم الآمال في إصلاح أي اعوجاج يحدث في المجتمع، كما يعلق عليهم الآمال في الانطلاق به إلى آفاق التطور والرقي.

٣) إن تواجد أعضاء هيئة التدريس في كلياتهم وقاعات محاضراتهم وغرف مكاتبهم وفي معاملهم ومكتبات كلياتهم وفي الحلقات البحثية الدورية لطلبتهم في الدراسات العليا، وفي مراكز أبحاثهم أو مؤسساتهم وجامعاتهم، أصبح وجود هذا أمر نادر الحدوث، وأصبح من يلتزم بذلك من الباحثين وأعضاء هيئة التدريس قليلون جدا، وأصبح التزامهم هذا موضع تندر وسخرية من زملائهم الذين لا يلتزمون بشيء من ذلك.

٤) وعليه فإن مجرد المدح والثناء والإعجاب بالمؤسسات العلمية والتقاليد والنظم والمعايير العلمية الرصينة التي عليها المؤسسات العلمية والبحثية في الغرب وأنها النموذج والقدوة لدى نفر من المفتونين بالغرب وحضارته، إنما يهدف إلى الترويج لتلك المؤسسات الغربية فقط دون أن يطبقوا شيئا مما يروجون له، فهم في الغالب أكثر الناس مخالفة للنظام وأكثرهم ممارسة للفوضى وقفزا على المعايير والضوابط، وبعض هؤلاء ممن لديهم شيء من العلم النظري تتناقض أعمالهم مع أقوالهم أو مع ما يرددونه من علوم ومعارف ونظريات وأفكار، وكما يتناقضون مع أنفسهم يتناقضون مع مجتمعاتهم وقيمها ومعتقداتها.

وفيما يتعلق بالمعايير والضوابط والتقاليد العلمية واحترام العمل المؤسسي الذي تسير عليه مؤسسات المجتمعات الغربية فأمور لا ننكر وجودها عندهم ولا نرفض قبولها أو

ISSN : 2410-1818

قبول النافع المفيد منها في واقعنا وفي مؤسساتنا لأنه جاء من الغرب لأن الحكمة ضالة المؤمن، إلا إنه حري بالمسلمين أن يطبقوا هذه المعايير والضوابط والتقاليد العلمية وغيرها التي يأمرهم بها الإسلام في القرآن والسنة وفي آراء العلماء وسلوكهم واجتهاداتهم المستنبطة من القرآن والسنة، ولهذه الآراء والأفكار والتقاليد صور مضيئة في تاريخ المسلمين وفي حياتهم العلمية على وجه الخصوص فالأولى الاقتداء بها مع الانفتاح المنضبط على كل مفيد ونافع من أي حضارة أو من أي وعاء جاء ما لم يكن متعارضا مع قيم ومعتقدات وإمكانات المسلمين، أما التنكر لهذه المبادئ والمعايير والضوابط والتقاليد العلمية الإسلامية لأنها إسلامية فقط بازدرائها أو إهمالها وعدم الإشارة إليها أو التقليل من شأنها في مقابل الانبهار والتمجيد والتضخيم لهذه المبادئ وسواها لأنها غربية وتمارس في بلاد الغرب أو الشرق ليس بهدف تطبيقها في بلاد المسلمين وإنما بهدف دفع الشباب المسلم إلى أن يوجهوا أنظارهم وأفكارهم نحو الغرب ليجعلوا من جامعاته ومؤسساته العلمية ومن علمائه ومن كل ما هو غربي قبلة لهم ونموذجاً يجب أن يحتذى في جوانب كثيرة منها الجانب المتعلق بالتقاليد العلمية والمبادئ والمعايير.

وهنا يود الباحث الإشارة إلى أنه لا يتفق مع من يصرف جهده ووقته في بيان نقائص (الآخر) غير المسلم؛ ذلك أن الاستمرار في ذلك والانغلاق على ذلك دون القدرة على إبصار كيفية التعامل معه واكتشاف الأدوات والآليات التي يمكن أن نفيد منها إنما هو تضييع للجهود والأوقات فالآخر يتقدم ونحن نراوح في مكاننا ونزدد تخلفا ولا نتغير، وعملنا هذا سوف لا يجدي كثيرا حتى في حماية الذات والاعتزاز بها فأين إمكانية ووسائل استرداد هذه الذات اليوم التي نقضي أعمارنا في امتداحها والدفاع عنها، ونكتفي بالفخر والتضخيم لمعالجة مركب النقص وأسبابه؟ أين عطاؤها، وأين دورها وقدرتها الغائبة على هضم المعطيات الحضارية والإفادة منها؟ "عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة الرؤية الإسلامية والمسألة الحضارية دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص١٣ -١٤) بتصرف يسير.

والناظر والدارس لتاريخ المسلمين وعلومهم يدرك عظمة الإسلام في إعلائه من شأن العلم والعلماء وفي تقريره للحريات بأنواعها ومنها الحرية العلمية وفق ضوابط محددة،

ISSN : 2410-1818

حيث استقى العلماء من القرآن والسنة الأسس والمبادئ، ثم أضافوا عليها كثيراً من الأفكار والرؤى، وكلما جاء جيل جديد أضاف جديدا على ما خلفه أسلافه، واستمر الترقي في سلم الحضارة إلى أن جاءت عصور الانحطاط حيث اكتفى الخلف بالتراث الفكري الذي تركه السلف دون أن يضيفوا عليه شيئاً جديداً إلا فيما ندر.

ومع ذلك فتاريخ الإسلام في عصوره الزاهية حافل بالصور الإيجابية الرائعة فيما يتعلق بإقبال المسلمين على طلب العلم، وقيام العلماء بنشره وتعليمه لكل راغب، ورفع مكانة العلماء في المجتمع، وتشجيع الحكام على التعلم والتعليم، ومشاركة المجتمع في تحمل بعض أعباء نشر العلم وتعليمه، وترسيخ مبادئ علمية كثيرة مثل الحرية العلمية وتكافؤ الفرص، والتعلم مدى الحياة، والتعلم المستمر، والتعلم الذاتي، والتدرج في عملية التعلم والتعليم، وتنويع مصادر التلقي، واحترام العلم، ورفع مكانة العلماء وتقديرهم، وغير ذلك من الجوانب العلمية المشرقة التي تحتاج من الباحثين المسلمين أن يزيلوا التراب عنها وإزالة ما لم يعد متناسبا مع الواقع والظروف التي تعيشها المجتمعات في الوقت الراهن، وأن يقدموا المفيد والنافع منها للعالم بعد أن يستفيدوا منها هم أولاً قبل غيرهم.

وإذا وجدت الرغبة الصادقة في النهوض الحضاري فإنه من الضروري الاستفادة من الإمكانات الذاتية للأمة المتمثلة في تراثها الزاخر، وكذا الاستفادة من علوم الآخرين وحضارتهم، "وقبل كل شيء العمل على توفير المناخ وبناء الشاكلة الثقافية الحاضنة للنفرة البحثية، والتحقق بشعب المعرفة المتنوعة التي باتت تشكل اليوم الحواس الضرورية المطلوبة للعقل الجمعي للأمة، وإعادة تركيب مؤسساتها من الخبراء والعلماء والمتخصصين في محاولة لإناطة المهام الاجتماعية والعلمية والمعرفية بأهلها وخبرائها من أهل الحل والعقد، ولكل قضية أو تخصص أهل حلها وعقدها بحسب نوعيتها، والتوقف عن الاستمرار في تضييع الأمانة الذي يعني -فيما يعني - إيكال الأمور لغير أهلها، كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فضياع الأمانة مؤذن بغياب الإنجاز وفساد الأحوال وخراب العمران واقتراب الساعة" (عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة منهج النظر المعرفي بين أصول الفقه والتاريخ.. الشاطبي وابن خلدون

ISSN : 2410-1818

أنموذجا، الحسان الشهيد، العدد ١٤٢، ربيع الأول ١٤٢٣هـ، السنة الحادية والثلاثون، ص٩).

إن الذي يحدث في واقع الأمة في هذا المجال أمر يدعو إلى الأسى عندما يولي المسلمون وجوههم وأنظارهم قبل الغرب والشرق بحثا عن أسس ومبادئ وتقاليد علمية عندهم وأن يكون مصير الأسس والمبادئ والتقاليد العلمية التي حفظها التاريخ الإسلامي حتى تلك التي حفظها القرآن والسنة الإهمال والضياع، وفي أحيان كثيرة التنكر لها، بل التنكر لكل القيم والمبادئ والأسس والتقاليد العلمية الرصينة إسلامية كانت أو غربية أو شرقية، يهودية أو نصرانية أو بوذية أو هندوسية، فالأمور الإيجابية في معظمها النافعة والمفيدة أضحت غريبة عن المجتمعات الإسلامية، وبعيدة عن السلوك العلمي وعن سلوك وممارسات المنتمين إلى المؤسسات العلمية والبحثية.

والذي يبدو للباحث أن افتقاد هذه المجتمعات للممارسات العلمية الصحيحة، مع إدراك أهميتها أقوالاً لا أفعالاً واعتبارها مجرد شعارات ترفع للمزايدة فقط دون أن تتعدى الشعار إلى التطبيق هو الذي دفع بعض الباحثين إلى البحث عنها نظريا فقط في المؤسسات العلمية الغربية، التي صارت - من حيث الشكل والمظهر فقط - في نظر الكثير النموذج الذي يجب أن يحتذى، وانعكس هذا السلوك وهذا الإعجاب البعيد عن التطبيق السليم على مجمل الحياة العلمية، فأصبح المتعلم أو الباحث شغوفاً وتواقاً وحريصاً على أن ينال شهادته من جامعة غربية من أجل أن ينال رضا وإعجاب الكثيرين، وإن كان فارغاً من أي علم، وهذا الأمر المؤسف ترسخ في المجتمعات المسلمة في ظل وضع علمي واجتماعي الشهادة فيه - سواء كانت سليمة أو مزيفة - باتت بمثابة صك غفران وتصريح مرور يلج بها صاحبها الأبواب المغلقة، وقد ينال بناء عليها المراتب العالية، وتعطيه مقاماً اجتماعياً وإدارياً وسياسياً لا يناله من هو في مثل درجته إذا لم يكن متخرجاً من جامعة غربية.

٤) ما يتردد من وقت لآخر من كلام يقال عن وجود رغبة لدى الحكومة في تطوير التعليم عامة والعالي منه على وجه خاص، وتترجم تلك الرغبة في عقد مؤتمرات ولقاءات وندوات وورش تخرج بتشكيل لجان للمتابعة، ورصد مبالغ مالية للتنفيذ، إلا أن الذي يتمخض عن تلك المؤتمرات والورش والندوات هو ذلك الضجيج

ISSN : 2410-1818

الإعلامي المتمثل في التصريحات واللقاءات وحضور الافتتاح والاختتام من قبل مسئولين في الدولة، إضافة إلى الأوراق التي تقدم في الندوات والمؤتمرات والورش وما يدور فيها من مناقشات، وكل ذلك يكون مآله الأدراج في مكاتب المسئولين أو المؤسسات، مما يعني أن معظم ذلك هو فقط مجرد دعايات إعلامية وتقليد مظهري للآخرين ويتوقف الأمر عند الكلام المكتوب والمسموع دون السماح بتجاوز ذلك إلى التنفيذ والتطبيق في الواقع.

٥) حرص الدولة ممثلة في وزارة التعليم العالي على تطبيق المعايير العلمية العالمية في المؤسسات العلمية بكل مكوناتها والمتمثلة في معايير الجودة الشاملة والاعتماد الأكاديمي، فهذه المعايير المطلوب توفرها في المؤسسة والبرنامج والمعلم والإدارة والتجهيزات وفي نوعية المخرجات، وغيرها تؤكد على أهمية التقويم الناقد الذي يهدف إلى الوقوف على حقيقة وواقع هذه المؤسسة العلمية أو تلك لمعالجة الاختلالات وجوانب الضعف وتعزيز الجوانب الإيجابية في حال وجودها.

إن المؤسسات العلمية القائمة حالياً وفي مقدمتها الجامعات في أمس الحاجة إلى وقفة جادة وصادقة تدعمها إرادة قوية وصارمة، وإدارة حديثة ناجحة، ويحدونا الأمل في هذه الظروف التي تعيشها اليمن بعد انطلاق ما سمي بالثورات أو الانتفاضات أو الحركات ضد الظلم والاستبداد والفوضى والفساد الذي أضحى ثقافة بفعل تغول المفسدين وبفعل القوة والسطوة والانتشار الواسع للفساد والمفسدين لتبدأ السير في الطريق الصحيح في كافة مجالات الحياة ومنها المجال العلمي الذي يعد إصلاحه أساسا مهما لإصلاح المجالات الأخرى.

سؤال البحث:

يحاول هذا البحث أن يجيب عن السؤال الآتي:

ما المبادئ العلمية التي ترسخت في الوسط العلمي والاجتماعي في القرن الثاني الهجري؟

ISSN : 2410-1818

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث زمانيا على القرن الثاني الهجري،كما يقتصر على بعض العلماء الذين عاشوا كل حياتهم أو جزء منها وماتوا في القرن الثاني الهجري، كما يقتصر موضوعيا على بعض المبادئ العلمية.

منهج البحث:

يتبع الباحث في بحثه المنهج التاريخي، حيث يقوم بالبحث في كتب التراجم والسير عن النصوص والروايات التاريخية التي تتحدث عن علماء القرن الثاني سواء من كتب تاريخية أو من كتب التراجم والطبقات والسير التي ترجمت لهم وتحدثت عن جوانب من حياتهم، واستخلاص ماله صلة بجوانب البحث.

التعريف الإجرائي للمبادئ العلمية:

يعرف الباحث المبادئ العلمية تعريفا إجرائيا بأنها: ما صدر عن العلماء أو ما صدر عن الحكام أو الأمراء أو القادة أو القضاة أو الشخصيات الاجتماعية من مواقف وأقوال عن العلماء في إطار الفترة الزمنية للدراسة هذه الأقوال أو الصفات العلمية ذات صلة بالعلم والعلماء اتصف بها أولئك العلماء وطبقوها عمليا بالممارسة في الحياة العلمية والاجتماعية وكانت محل تقدير واحترام من كل فئات المجتمع حتى صارت مبادئ علمية راسخة.

أولاً - مبدأ تقدير العلماء للعلم ومعرفتهم لمكانته:

لقد ساد الوسط العلمي والاجتماعي في تلك الفترة مبادئ علمية متعلقة بالنظرة الإيجابية للعلم والعلماء، حتى صار الاحترام والتقدير للعلم مبدأً راسخاً وتقليداً محترماً، بل صار هذا المبدأ العلمي من أهم المبادئ العلمية الإسلامية الراسخة التي سادت في ذلك العصر في أوساط العلماء وطلاب العلم، وطائفة كبيرة من أبناء المجتمع، وهو مؤشر فيما يظهر على مستوى الوعي عند أبناء المجتمع، ومؤشر إيجابي واضح على المستوى المعرفي المتقدم الذي كان يميز تلك الفترة مما جعل للعلم تلك المكانة في المجتمع كله بكل فئاته وانعكس على العلماء أنفسهم بما نالهم من تقدير وما حظوا به من مكانة في الوسط العلمي والوسط الاجتماعي.

ISSN : 2410-1818

ومن أجل التأكيد على أن هذا المبدأ العلمي كان قد ترسخ في تلك الفترة الزمنية يورد الباحث بعض النصوص التي تتحدث عن السلوك العلمي لبعض علماء القرن الثاني فيما يتعلق بتقديرهم للعلم الذي يحملونه، وهذا التقدير والتبجيل من العلماء للعلم وأهله لا شك أنه قد كان له انعكاس إيجابي كبير لدى فئات المجتمع جعلت الجميع يقدر ويحترم ويرفع مكانة العلم والعلماء.

ففيما يتعلق بتقدير العلماء أنفسهم للعلم ومعرفتهم لمكانته في المجتمع فإن هذا التقدير يظهر من خلال بعض المواقف لبعض العلماء منها ما ورد عن عمرو بن الحارث بن يعقوب (ت/١٤٨هـ) حيث يقول:"الشرف شرفان: شرف العلم وشرف السلطان، وشرف العلم أشرفهما"المزي، تهذيب الكمال، ج٢١ ص٥٧٦.

وتأكيدا على مكانة العلم وأهميته في نفوس وحياة أولئك العلماء يقول مسعر بن كدام(ت/١٥٥هـ)"العلم شرف الأحساب، يرفع الخسيس في نسبه، ومن قعد به حسبه نهض به أدبه"الأصبهاني، الحلية، ج٧ص٢١٤.

وقال إبراهيم بن أدهم(ت/١٦٢هـ)في شأن مسؤولية العلم المترتبة على العالم:"من حمل شأن العلماء حمل شراً كبيرا"الأصبهاني، الحلية، ج٨ص٢٧.وهو هنا يشير إلى المسؤولية العظيمة التي تقع على العلماء ولذلك سماها شرا لخطورة وعظم هذه المسؤولية من أجل أن يعظم ويقدر العالم العلم الذي يحمله ويؤدي الواجب الذي حمل الله العلماء إياه لأنه بفساد العالم وعدم تقديره لما يحمله من علم يفسد كثير من أبناء المجتمع ويتجرأ الكثير على العلم والعلماء.

وقال: ما يمنعني من طلب العلم أني لا أعلم ما فيه من الفضل، ولكن أكره أن أطلبه مع من لا يعرف حقه "المصدر السابق، المكان نفسه.

وهو بذلك يشير إلى ما ينطبق على بعض زملاء التعلم حيث يبتلى بعض المتعلمين الحريصين على الفائدة ببعض من لا رغبة لهم ومن لا همة عندهم ولا جد في طلب العلم مما يؤثر سلباً على تحصيلهم العلمي.

ISSN : 2410-1818

لكن إن حدث أن وجد زملاء غير حريصين على التعلم فإنه لا يمكن أن يثني طالب العلم المجتهد في الاستمرار في طلب العلم مع الحرص على انتقاء زملاء التعلم الجادين.

فلا ينبغي بحال أن يترك العلم لذلك السبب، فمعلوم ما للعلماء من فضل كبير على غيرهم إذا عرفوا قدر العلم وأعطوه حقه واجتهدوا في طلبه وحرصوا على العمل به.

إن هذا السلوك العلمي يرفع من شأن العلم والعلماء، ويفرض على المجتمع بشرائحه المختلفة احترام العلماء وهو احترام نابع من معرفتهم لمكانة وفضل العلم، لاسيما إذا كان العلماء أهلاً لهذا الاحترام، وكان سلوكهم العلمي والاجتماعي مطابقاً ومنسجما ومتوافقاً مع ما يدعوهم إليه العلم.

وكان التقدير والاحترام عندهم يشمل كل عالم سُمِعَ منه أو كُتِبَ عنه ولو حرفاً واحداً كما يظهر ذلك في كلام شعبة بن الحجاج(ت/١٦٠هـ)قال يحي بن سعيد: قال لي شعبة: "كلُّ من كتبت عنه حديثاً فأنا له عبد" علي بن الجعد، المسند، ج٢ص٢٧٠.

وقال شعبة: "ما أحد عنده ثلاثة أحاديث إلاّ وأنا عبده حتى يموت، وما سمعت من أحد شيئا إلا اختلفت إليه أكثر مماسمعت منه" الخطيب البغدادي، الجامع، ج٢ص١٩١.

وهذا يبين احترام المتعلم وتقديره لشيخه وأستاذه الذي تعلم منه ولو كان هذا التعلم شيئا يسيرا، ولو حرفاً واحداً، ومن المؤكد أن هذا الكلام هو من باب المبالغة المحمودة والمطلوبة في احترام وتقدير العالم لأنه لا يمكن أن يعلم العالم حرفا واحدا، أو يتعلم المتعلم من شيخه حرفا واحدا.

لقد كان للعلماء أنفسهم الدور الأكبر في رفع شأن العلم وفي تقدير المجتمع للعلم والعلماء من خلال سلوكهم وتعاملهم الحياتي اليومي مع كل من حولهم، قال حمدان الأصبهاني: "كنت عند شريك النخعي(ت/١٧٧هـ) وأتاه بعض ولد المهدي فاستند إلى الحائط فسأله عن حديث فلم يلتفت إليه وأقبل علينا، ثم أعاد فعاد بمثل ذلك، فقال: يعني لشريك -كأنك تستخفُّ بأولاد الخلافة، قال: لا ولكن العلم أزين عند أهله من

ISSN : 2410-1818

أن يضيعوه، قال: فجثا على ركبتيه ثم سأله، فقال شريك: هكذا يطلب العلم"علي بن الجعد، المسند، ج٢ص٨٩٣، وانظر:سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٨ص٢٠٧.

وبهذا السلوك وهذا الموقف الحازم يرفع العلماء من شأن العلم وهم بسلوكهم هذا يعلمون المجتمع كله كيف يقدر العلم ويجل، وكيف يحترم العالم ويبجل، لا أن يقوم بعضهم بالتزلف والمهادنة والنفاق وإهانة العلم والدين بوقوفه على أبواب الوزراء والأمراء والمسئولين مقابل الحصول على عمل أو تحقيق مصلحة أو الحصول على حفنة من المال، أو تحقيق أي شهوة دنيوية زائلة.

ومما له صلة وثيقة بتقدير العلماء للعلم تأكيدهم على أن يكون هذا العلم مرتبط بالخُلُق حرصا منهم على أن يكتسب المتعلمون السلوك الحسن والخلق الفاضل قبل اكتسابهم المعرفة، وهناك مواقف لبعض العلماء في هذا الشأن منها ما ذكره حماد بن قتيبة قال: "سمعت الليث ابن سعد يقول وقد أشرف على أصحاب الحديث فرأى منهم شيئاً،فقال: أنتم إلى يسير من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم" الخطيب البغدادي، الجامع، ج١ص٤٠٥.

وهو هنا يوضح أهمية التربية الخلقية وأهمية السلوك الحسن، ويؤكد على ضرورة أن يرتبط العلم بالخلق الكريم والأدب الرفيع، كما يؤكد على أن اتصاف العالم وطالب العلم بالخلق الحسن أكثر أهمية من اتصافه بالعلم النظري المجرد وحده دون الخلق، وهو يشير بكلامه هذا إلى أهمية أن يتحلى طلاب العلم بآداب التعلم قبل الشروع في التعلم.

إن العالم الذي يسلك هذا السلوك ويتحلى بأخلاق العلم والعلماء فيعرف قدر ومكانة العلم ويحترم العلم ويجله فإنه يقود الناس بسلوكه إلى احترام العلم ورفع مكانة العلماء، كما يظهر في سلوك مالك بن أنس(ت١٧٩هـ)،قال أبو مصعب: "كانوا يزدحمون على باب مالك بن أنس فيقتتلون على الباب من الزحام، وكنا نكون عند مالك فلا يكلم ذا ذا، ولا يلتفت ذا إلى ذا، والناس قائلون برؤوسهم هكذا، وكانت السلاطين تهابه وهم قائلون مستمعون، وكان يقول في مسألة: لا،أونعم، ولا يقال له: من أين قلت ذا" الرازي، تقدمة الجرح، ص٢٦.

ISSN : 2410-1818

هذه المكانة وهذا التقدير وهذا الاحترام وهذه المهابة للعالم عند المتعلم لم تأت من فراغ، بل جاءت من سلوك وممارسة واحترام للعلم وصون للنفس، وتمثل لقيم خلقية وعلمية وممارستها عمليا من إمام دار الهجرة مالك بن أنس مع العامة، ومع العلماء، ومع طلاب العلم، ومع الحكام والأمراء، مع التغلب على حظوظ النفس ورغباتها في القرب من الحكام ونيل رضاهم، والحصول على عطاياهم، ونيل الحظوة عندهم، أو استغلال ذلك للترفع على الأقران، وبلوغ المناصب الرفيعة، والحصول على الملذات الدنيوية الزائلة التي لا يمكن الحصول عليها إلا على حساب الدين والخلق والعلم، وفي هذا الإطار وتأكيدا على سلوك مالك مع الحاكم السلوك الذي فيه تقدير للعلم من العالم أولا، يقول مالك: "وجه إلي هارون الرشيد يسألني أن أحدِّثه، فقلت: يا أمير المؤمنين إن العلم يؤتى ولا يأتي، قال: فصار إلى منزلي فاستند معي إلى الجدار، فقلت: يا أمير المؤمنين إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم، قال: فجلس بين يدي، قال: فقال لي بعد مدة: يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع به" أبو الهلال العسكري، الحث على طلب العلم،ص٨٤.

وللعالم العامل بعلمه المتحلي بأخلاق العلم دور إيجابي كبير في المجتمع، إذ يستطيع بما أوتي من حكمة وما حمله الله من أمانة النصيحة أن ينصح الحاكم ويرشده إلى ما فيه مصلحة الأمة، وأن يوجهه إلى الخير بأسلوب حكيم، وأن يجعل الحاكم في صف العلماء لاضدهم، ومع أمته لا ضدها، فيسعد به مجتمعه وأمته، ويحظى برضاء ربه والناس من حوله، ويكون العالم بسلوكه هذا قد أدى مهمة عظيمة وقدم خدمة جليلة، دون أن يذل نفسه وعلمه، ودون أن يغضب خالقه عز وجل بتقصيره أو إهماله في أداء واجبه.

ومن سلوك مالك في هذا الجانب ما ذكره ابن عبد الحكم قال: "سمعت مالك يقول: شاورني هارون في ثلاث: في أن يعلق الموطأ في الكعبة، ويحمل الناس على مافيه، وفي أن ينقض منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجعله من جوهر وذهب وفضة،وفي أن يقدم نافع بن أبي نعيم إماماً يصلي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: ياأمير المؤمنين: أمَّا تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في الآفاق، وكلٌ عند

ISSN : 2410-1818

نفسه مصيب، وأما نقض منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة فلا أرى أن تحرم الناس أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأما تقدمتك نافعاً إماماً يصلي بالناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن نافعاً إمام في القراءة لا يؤمن أن تندر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه. قال: وفقك الله يا أباعبدالله"الأصبهاني، الحلية، ج٦ص٣٣٢.،ورواية أخرى قريبة من هذه الرواية ولكن مع المنصور.

قال محمد بن عمر: "سمعت مالكاً يقول: لما حج المنصور دعاني فدخلت عليه فحادثته وسألني فأجبته، فقال: عزمت أن آمر بكتبك هذه -يعني الموطأ -فتنسخ نسخاً ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها، ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث، فإني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم، فقلت: يا أمير المؤمنين: لا تفعل فإن الناس قد سيقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سيق إليهم، وعملوا به ودانوا به من اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم، فقال: لعمري لو طاوعتني لأمرت بذلك" الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨ص٧٨.

هكذا يكون دور العالم في المجتمع دور إيجابي يوجه الحكام والمحكومين إلى الصواب، ويحذرهم من الوقوع في المهالك، ولا يحصر مهمته في الشهرة وفي أن يتقدم على أقرانه، وفي أن يحظى بمكانة لدى الحاكم وإن جاءت على حساب علمه ودينه وأبناء مجتمعه.

وهكذا كان سلوك كثير من العلماء في تقديرهم للعلم ورفعهم لشأنه وهو ما ينبغي أن يكون عليه سلوك العالم المسلم في كل زمان ومكان.

ومما يدخل في هذا المبدأ العلمي الذي صار سلوكا علميا لعلماء ذلك العصر وهو سلوك يدل دلالة واضحة وأكيدة على احترامهم وتقديرهم لما يحملونه من علم ومعرفتهم العلمية والعملية بما يفرضه العلم على حامليه من مسئولية وما يترتب على هذا السلوك من تقدير وإعلاء لمكانة العلم ومكانة أهله قال أحمد بن أبي الحواري:

ISSN : 2410-1818

"حدثني بعض أصحابنا قال: جاء عبد الله بن أبي العباس الطرسوسي -وكان واليا بمرو -إلى منزل عبد الله بن المبارك(ت/١٨١هـ)بالليل ومعه كاتبه والدواة والقرطاس معه،قال: فسأله عن حديث فأبى أن يحدثه -ثلاث مرات -فقال لكاتبه: اطو قرطاسك ما أرى أبا عبد الرحمن يرانا أهلاً أن يحدثنا، فلما قام يركب مشى معه ابن المبارك إلى باب الدار فقال له: يا أبا عبد الرحمن لمَ لمْ ترانا أهلاً أن تحدثنا، وتمشي معنا؟ فقال: إني أحببت أن أُذل لك بدني، ولاأذل لك حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،قال أحمد: فحدثت به محمد بن أبي شيبة ابن أخت ابن المبارك فقال: ما حفظ الذي حدثك،لم يمش معه،إنما قام ذلك ليركب، وقام خالي إلى قاعة الدار ليبول"الأصبهاني،الحلية،ج٨ص١٦٩،وانظر:الجامع للخطيب البغدادي،ج١ص٣٣٦.

ألا يدل هذا السلوك على تقدير أولئك العلماء للعلم الذي يحملونه، ويؤكد حرصهم على ترسيخ مبادئ وتقاليد علمية في احترام العلم، ومعرفة قدره، واحترام العلماء، دون التفاتهم لترغيب الحكام أو ترهيبهم لهم، فهم يرجون الأجر من الله، ويراقبونه وحده، ويخافون عقابه إن هم خالفوا أوامره وخالفوا ماعلموه من علم.

ومن المبادئ العلمية التي تدخل ضمن تقدير العلماء للعلم ما ذكره سفيان بن عيينة قال: سمعت الفضيل بن عياض(ت/١٨٧هـ) يقول: يغفر للجاهل سبعون ذنباً مالم يغفر للعالم ذنب واحد"الأصبهاني،الحلية،ج٨ص١٠٠.

وهذا تقدير من العالم لمكانة العلم، وخطورة حمله، وبيان لثقل وخطورة الأمانة التي يحملها العلماء.

وقيل للفضيل: "لم لاتحدث جعفر بن يحي؟ قال: أنا أُجل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أُحدِّث به جعفر بن يحي" الخطيب البغدادي،الجامع،ج١ص٣٣٦.

والمقصود به جعفر بن يحي البرمكي ويظهر أنه لم يكن عادلا في حكمه ولا حسن السيرة في حياته حتى يمتنع الفضي عن رواية الحديث له.

وهذا الموقف يدخل في باب تقدير العالم للعلم ومعرفة قيمته ومن ثم بذله لمن يستحقه ومن هو أهل له، ومنعه عمن لا يستحقه ومن ليس أهلاً له، فيمتنع العالم عن تعليم الأفراد الذين يكون في تعليمهم إهانة للعلم وإذلالاً للعلماء.

ISSN : 2410-1818

ومن المواقف التي تشير إلى تقدير العلماء للعلم ومعرفتهم لمكانته ما ذكره عبد الله بن خبيق قال: "كنت عند يوسف بن أسباط (ت/١٩٥هـ) إذ جاءه الأمير وعليه قلنسوة شاسية فسأله عن مسألة فقال: إن أستاذي سفيان كان لا يفتي من على رأسه مثل هذا ،قال: فوضعه على الأرض فأفتاه"الأصبهاني، الحلية، ج٨ص٢٤٤.

إن هذا التقدير إنما يكون من العلماء الذين يقدرون العلم ويعرفون حجم المسئولية التي يفرضها العلم على حامليه، العلماء الذين يتخلقون بأخلاق العلم، قال أحمد بن سنان: "كان وكيع ابن الجراح(ت/١٩٧هـ) لايُتَحَدَّثُ في مجلسه، ولا يُبرى قلم، ولا يُتَبَسَّمُ، ولا يقومُ أحدٌ قائماً، كانوا في مجلسه كأنهم في صلاة، فإن أنكر منهم شيئاً انتعل ودخل" الرازي، تقدمة الجرح، ص٢٣٢.

إن العلماء ومؤسسات ومراكز العلم في المجتمعات المسلمة المعاصرة هي في حاجة ماسة لأن تفعل هذا السلوك وترسي هذا المبدأ وتفرضه على كل من ينتسب إلى العلم والعلماء وذلك بأن تجعله معيارا من معايير القبول وشرطا من الشروط الأساسية التي لا بد من توفرها في من يقبل أو ينتمي إلى هذه المؤسسات العلمية، بحيث يكون سلوك هؤلاء العلماء في المجتمع هو الذي يفرض على العامة والخاصة احترام العلم ورفع مكانته ووضعه في المقام الذي يليق به.

ثانياً - مبدأ تقدير العلماء لبعضهم:

من المبادئ العلمية التي كانت سائدة في أوساط علماء القرن الثاني الهجري: العلاقة التي كانت تربط العلماء ببعضهم، والتي كانت تنطلق من الاحترام المتبادل والثناء والتقدير، والمقصود بالثناء هو: ذكر بعضهم لبعض بالخير، وذكر المحاسن والتغاضي عن السلبيات أو المساوئ، وتبجيل بعضهم لبعض، بعيدا عن التزلف أو النفاق والكذب، وهذا المبدأ يدخل في باب الصفات التي يشترط توفرها في العلماء وهي صفات ضرورية يفرضها العلم على حامليه،وهي صفات وأخلاق تميز بها العلماء والمتعلمون في ذلك العصر وما سبقه وماتلاه من عصور زاهية للحضارة الإسلامية.

وهذا الثناء من العلماء على بعضهم لم يكن ثناءنابعا من فراغ ولا يدخل في باب النفاق والمجاملة،وإنما هو ثناء صادقمنطلق من حقائق ملموسة متمثلة في تميز أولئك

ISSN : 2410-1818

العلماء علماً وخلقاً، ومن صدر عنه ذلك الثناء لم يكن يقصد منه التزلف والحصول على منفعة شخصية عاجلة أوآجلة، وإنما كان وصفاً لواقع الحال التي كان عليها أولئك العلماء .

ولبعض العلماء الذين عاشوا في القرن الثاني الهجري مبادئ علمية ترسخت في ممارسات سلوكية عملية في ذكر بعضهم لبعض بالخير، وفي الثناء الصادق والتبجيل المستحق لإخوانهم، وفيما يلي بعض هذه الممارسات التي تدخل ضمن هذا المبدأ العلمي الذي ساد في ذلك العصر:

" قال عبد الرزاق بن همام الصنعاني: كنت إذا رأيت ابن جريج(ت/١٥٠هـ) علمت أنه يخشى الله، قال: ومارأيت مصلياً قط مثله "الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج١٠ص٤٠٣.

ويظهر أن بعض العلماء كان يتصف بصفات يبرز فيها أكثر من غيرها،كما يتضح في وصف عبد الرزاق لسلوك ابن جريج في الخشية من الله تعالى وفي حسن أدائه للصلاة أو إكثاره منها.

و "قال بشر بن الحارث: أربعة رفعهم الله بطيب المطعم: وهيب بن الورد(ت/١٥٣هـ)،وإبرا هيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسالم الخواص"الأصبهاني،الحلية،ج٨ص١٤٠..

وهؤلاء كما يظهر من الوصف كانوا يتميزون بالورع الذي هو الحرص الشديد على معرفة مايتناولونه من طعام، فيما يتعلق بالحل والحرمة والشبهة، وهو سلوك فقهي أصيل قل أو ندر الوقوف على شيء منه في عصرنا لدى العلماء مع أهميته الشديدة للعلماء أولا وللمسلم بشكل عام.

"وسئل ابن جريج عن شيء من التفسير فأجا ب، فقيل له: إن معمراً بن راشد (ت/١٥٣هـ) قال: كذا وكذا، فقال: إن معمراً شرب من العلم بأنقع "ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق،ج٢٥ص١٤٢.

وهو هنا يصف معمراً بالتبحر في العلم، ويقدمه على نفسه اعترافاً بعلمه ومكانته وإنصافاً له وقولاً للحقيقة.

ISSN : 2410-1818

ومن تطبيقات وممارسات هذا المبدأ العلمي ما ذكره بعض العلماء من ثناء في معمر بن راشد(ت/١٥٣هـ) فمن ذلك ما ذكره ابن عيينة: قال لي ابن أبي عروبة: شرَّفْنا معمراً، روينا عنه وهو حَدَثٌ(صغير)،قال: قلتُ: أنتَ شرَّفْتَهُ؟ اللّهُ شرَّفَهُ "ابن منظور، المصدر السابق، المكان نفسه.

وقال ابن جريج: "عليكم بهذا الرجل -يعني معمرا -فإنه لم يبق من أهل زمانه أعلم منه" المرجع السابق، المكان نفسه.

ولما دخل معمر صنعاء كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم، فقال لهم رجل: قيدوه، قال: فزوجوه "المصدر نفسه،ج٢٥ص١٤٣.

وفي هذا السلوك دليل على مايعطيه العلم لحامليه من مكانة، ومايفرضه العالم العامل بعلمه من احترام الآخرين له سواء كانوا من الحكام أم من العامة أم من إخوانه العلماء.

ومن ممارسات هذا المبدأ العلمي ما ذكره سفيان الثوري في مسعر بن كدام، وما ذكره بعض العلماء من ثناء في سفيان الثوري، وما ذكره الثوري في الأوزاعي "قال سفيان الثوري: وكان مسعر ابن كدام(ت/١٥٥هـ)من معادن الصدق، قال ابن أبي عمر: وكان سفيان من معادن الصدق "الخطيب البغدادي، الجامع،ج٢ص٨٦.

وقال قبيصة: ما رأيت سفيان يقرأ كتاب أحد ممن يدفع إليه يضعه ساعة إلاَّكتاب الأوزاعي وورقاء، فإنه يرد عليه كتاب الأوزاعي فقرأ ثم تبسم فقال: سألني النقلة،سألني النقلة" الرازي، تقدمة الجرح،ص٢٠٧.يعني العلامة الكثير العلم.

ومن ثناء العلماء في الأوزاعي :قال أبوشعيب: قلت لأمية بن يزيد بن أبي عثمان: أين الأوزاعي من مكحول ؟فقال :هو عندنا أرفع من مكحول، فقلت له: إن مكحولاً قد رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.قال:وإن كان قد رآهم،فأين فضل الأوزاعي في نفسه؟ وقد جمع العبادة والورع والعلم والقول بالحق" ابن منظور، مصدر سابق،ج١٤ص٣١٧.

ومما يدخل في تقدير العلماء وثنائهم على بعضهم ما ذكر عن الليث بن سعد(ت/١٧٥هـ) في ثنائه على الزهري، قال عمرو بن خالد الحراني: "قلت لليث :يا أبا

ISSN : 2410-1818

الحارث بلغني أنك أخذت بركاب الزهري؟ قال: للعلم، فأمَّا غير ذلك فلا والله ما أخذت بركاب والدي الذي ولدني" ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق،ج٢١ص٢٤٨.

وقد أثنى مالك بن أنس على الأوزاعي" وذكر الأوزاعي عند مالك فقال :ذاك إمامٌ يقتدى به" المصدر السابق،ج١٤ص٣١٨.وانظر:سيرأعلام النبلاء للذهبي،ج٧ص١١٢.

وقال عبد الرحمن بن القاسم: "جئت يوماً إلى منزل مالك بن أنس فوجدت سفيان الثوري وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي خارجين من عنده، فدخلت إلى مالك فقلت له:أباعبدالله، لقيت الساعة الأوزاعي والثوري خارجين من عندك، فقال لي: أمَّا أحدهما فمن الراسخين في العلم، يريد عبد الرحمن الأوزاعي" ابن منظور، المصدر السابق،ج١٤ص٣١٨.

"وقال أبو إسحاق الفزاري: ما رأيت مثل رجلين: الأوزاعي والثوري، فأمَّا الأوزاعي فكان رجل عامة، وأمَّا الثوري فكان رجل خاصة نفسه، ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي، قال علي بن بكار :فقلت في نفسي: لوخيرت لهذه الأمة اخترت لها أبا إسحاق الفزاري" المصدر السابق،ج١٤ص٣١٩.

"وقال إبراهيم بن محمد الفزاري: لو أن الأمة أصابتها شدة والأوزاعي فيهم لرأيت لهم أن يفزعوا إليه" المصدر نفسه،ج١٤ص٣٢٠.

ومن الثناء الذي صدر عن بعض العلماء في الأوزاعي ما ذكره إسحاق بن عباد الختلي: "حدثني أبي قال: حججت في بعض السنين فرأيت شيوخا أحدهم راكب والآخر يقود به، يقولون: أوسعوا للشيخ، أوسعوا للشيخ، فقلت: من الراكب؟ ومن القائد؟ ومن السائق؟ فقالوا : الراكب :
الأوزاعي، والقائد: مالك، والسائق: الثوري، قال: فقلت: لولا أنهم رأوا أنه أفضلهم ما فعلوا به ذلك" ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق،ج١٤ص٣١٧.

وقد بلغ سفيان الثوري وهو بمكة مقدم الأوزاعي فخرج حتى لقيه بذي طوى، فلما لقيه حلَّ رسن البعير من القطار فوضعه على رقبته فجعل يتخلل به فإذا مرَّ بجماعة قال: الطريق للشيخ" المصدر السابق، المكان نفسه.

ISSN : 2410-1818

وقال عثمان بن عاصم: "رأيت شيخاً بين الصفا والمروة على ناقة، وشيخاً يقوده، واجتمع أصحاب الحديث عليه فجعل الشيخ الذي يقوده يقول: يا معشر الشباب كُفُّوا حتى نسأل الشيخ، فقلت: من هذاالراكب؟ فقالوا: هذاالأوزاعي، فقلت: من هذا الذي يقوده؟ قالوا: هذا سفيان الثوري" المصدر نفسه، المكان نفسه.

وكان الأوزاعي في الشام معظماً مكرماً، أمره أعزُّ عندهم من أمر السلطان، وقد هم به بعض الولاة مرة، فقال له أصحابه: دعه عنك فو الله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لقتلوك. ولما مات الأوزاعي جلس على قبره بعض الولاة فقال: رحمك الله فو الله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف من الذي ولاني -يعني المنصور -"ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٠ص١٢٢.

ومن ثناء العلماء على بعضهم وهو ثناء يدل على تقدير واحترام ومعرفة لقدر المثني عليه وفضله، كما يدل على أخلاق وصدق وعلم من ورد عنه الثناء، ما ورد عن أحمد بن حنبل في ثنائه على أحد العلماء العاملين بعلمهم وهو ابن أبي ذئب قوله: "كان ابن أبي ذئب(ت/١٥٩هـ) رجلاً صالحاً يأمر بالمعروف، وكان يشبَّه بسعيد بن المسيب، وقيل لأحمد: خلَّفَ مثله ببلاده؟ قال: لا،ولا بغيرها"، وقال أحمد: كان ابن أبي ذئب ثقة صدوقاً أفضل من مالك بن أنس، إلا إن مالكا أشدَّ تنقية للرجال منه، ابن أبي ذئب لا يبالي عمن يحدث" ابن منظور، مصدر سابق،ج١٤ص٣٢٠.

ومن الثناء الوارد في حق من يستحقه ما ذكرته المصادر في الثناء على شعبة بن الحجاج حيث ذكرت أن " يحي بن سعيد القطان كان إذا سمع الحديث من شعبة ابن الحجاج(ت/١٦٠هـ) لم يبال أن لايسمعه من غيره" علي بن الجعد،المسند،ج٢ص٢٧٠.

أما سليمان بن المغيرة فكان إذا ذكر شعبة قال: "سيد المحدثين،وكان شعبة إذا ذكر سليمان قال:سيد العلماء" الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج٢ص٢٩٨. وهو من الثناء المتبادل الصادق البعيد عن المجاملة.

وقال عبد الرحمن بن مهدي متحدثاً عن بعض زملائه من العلماء: "ما رأيت أعقل من مالك بن أنس، ولا أشدَّ تقشفاً من شعبة، ولاأنصح للأمة من عبد الله بن المبارك" الخطيب البغدادي، الجامع،ج٢ص٨٦.

ISSN : 2410-1818

"وكان يعقوب بن إسحاق الحضرمي إذا حدَّث في المجلس يقول: حدثني الضَّخم عن الضخَّام، شعبة الخير أبو بسطام" الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩ص٢٦٤.

ومن الثناء الصادق ما قاله شعبة متحدثاً عن أيوب السختياني: "حدثني سيد الفقهاء أيوب"الأصبهاني، الحلية، ج٧ص١٥٣.

ومما ورد من ثناء وذكر حسن عن بعض العلماء في سفيان الثوري ما قاله يحي بن يمان: "ما رأيت مثل سفيان الثوري ولا رأى سفيان مثله، أقبلت عليه الدنيا فصرف وجهه عنها"، علي بن الجعد، المسند، ج٢ص٧٤٠.

وقال: "أتعب سفيان القراء بعده" المصدر السابق، ج٢ص٧٣٩.

وقال حفص بن غياث: "كنا نتعزى بمجلس سفيان عن الدنيا" المصدر نفسه، المكان نفسه.

وقال عبد الرزاق: "سمعت سفيان بن عيينة غير مرة يقول: كان الناس ثلاثة بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه" المصدر نفسه، المكان نفسه، وانظر: تهذيب الكمال للمزي، ج١١ص١٦٦.

وقال عبد الرزاق: "كنت إذا لقيت الثوري لم أستوحش إلى أحد" علي بن الجعد، المسند، ج٢ص٧٤٢.

وكتب الأوزاعي إلى عبد الله بن يزيد: "بلغني كتابك تذكر دروساً من العلم وذهاب العلماء، وإن كنت لم تعرف ذهاب العلماء إلاَّ في عامك هذا فقد أغفلت النظر فإنه قد أسرع بهم منذ حين وذهب بقاياهم منذ أعوام من كل جند وأُفُق، فلم يبق منهم رجل واحد يجتمع عليه العامة بالرضا والصحة إلاَّ ما كان من رجل واحد بالكوفة -يعني الثوري" الرازي، تقدمة الجرح، ص٥٥.

وقال سفيان بن عيينة: "ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري" المصدر السابق، المكان نفسه، وقال عبد الله بن المبارك:" لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري" المصدر السابق، ص٥٦.

ISSN : 2410-1818

وكان وكيع يقول: "حدثنا سفيان أمير المؤمنين في الحديث" الخطيب البغدادي، الجامع، ج٢ص٨٦.، وقال شعبة: "إن سفيان ساد الناس بالورع والعلم"المزي، تهذيب الكمال، ج١١ص١٦٧.

ومما ورد من ثناء في إبراهيم بن أدهم "ما قاله الثوري: إن إبرا هيم بن أدهم(ت/١٦٢هـ) كان يشبه إبراهيم خليل الرحمن، ولو كان في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لكان رجلا فاضلا" ابن منظور، مصدر سابق، ج٤ص٢٢.

وقد أثنى بعض العلماء على داود الطائي "قال إسحاق بن منصور: لما مات داود الطائي(ت/١٦٢هـ) شيَّع الناس جنازته، فلما دفن قام ابن السماك فقال: يا داود كنت تسهرُ ليلَكَ إذا الناسُ ينامون، فقال القوم جميعا: صدقت، وكنت تربحُ إذا الناسُ يخسرون، فقال الناس جميعا: صدقت، وكنت تسلَمُ إذا الناس يخوضون، قال الناس جميعا: صدقت، حتى عدَّد فضائله كلها، فلما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال: يارب: إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا، اللهم اغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله"الأصبهاني، الحلية، ج٧ص٣٣٩.

وبالرغم من أن ابن السماك قد عدَّد فضائل داود، بحسب سلوكه في الحياة، إلا إن ذلك لايعني تزكية لتلك الأعمال، ولذلك فقد كان كلام أبوبكر النهشلي موفقاً، حيث أشار إلى أن ما قيل في داود كان حسب ما علمه الناس منه، ولكن الأهم ما بينه وبين الله، وأهم منه هو أن يطلب الإنسان المغفرة من الله ولايتَّكِل على عمله كائناً من كان وبالغاً ذلك العمل ما بلغ.

ومما ورد من ثناء من بعض العلماء في مالك بن أنس ما قاله عبد الرحمن بن القاسم:" إنما أقتدي في ديني برجلين: مالك بن أنس في علمه، وسليمان بن القاسم في ورعه" الأصبهاني، المصدر السابق، ج٦ص٣٢١.

وقال القواريري: "كنا عند حماد بن زيد وجاءه نعي مالك بن أنس فقال: رحم الله أبا عبد الله كان من الدين بمكان" المصدر السابق، المكان نفسه.

وقال القعنبي:"أتيت سفيان بن عيينة فوجدته حزيناً، فقيل: بلغه موت مالك بن أنس، ثم قال سفيان: ما ترك على الأرض مثله" نفسه، المكان نفسه.

ISSN : 2410-1818

وقال يحي بن سعيد القطان: "ما أقدِّم على مالك في زمانه أحدا"نفسه، المكان نفسه.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: "ما رأت عيناي أحداً أهيب من هيبة مالك ،ولا أتمَّ عقلاً، ولا أشدَّ تقوى، ولا أوفر دماغاً من مالك" عياض اليحصبي ،ترتيب المدارك، ج١ص١١٧.

ومن الثناء الوارد عن بعض العلماء في ابن المبارك ما قاله أبو خالد الأحمر: "وذكر ابن المبارك، فقال: ما هدت الأرض منذ مات سفيان هدتها لموت ابن المبارك" الرازي، تقدمة الجرح،ص٢٧٦.

وقال أبو أسامة: "كان ابن المبارك في أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس" الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ،ج١٠ص١٥٦.

وقال عبد الرحمن بن يزيد الجهضمي: "قال الأوزاعي: رأيت ابن المبارك؟ قلت: لا ، قال: لو رأيته لقرت عينك" المصدر السابق،ج١٠ص١٥٧.

وقال إسماعيل بن عياش: "ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلةً من الخير إلاَّ وقد جعلها في عبد الله بن المبارك، ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم "المصدر نفسه، المكان نفسه.

وقال يحي بن معين: "ما رأيت أحداً يحدِّث لله إلاَّ ستة نفر منهم عبد الله بن المبارك" المصدر السابق،ج١٠ص١٦٠.

وقال ابن مهدي: "الأئمة أربعة: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وحماد بن زيد، وابن المبارك"، وقال ابن مهدي: "ما رأيت رجلا أعلم بالحديث من سفيان الثوري، ولاأحسن عقلاً من مالك، ولا أقشف من شعبة، ولا أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك" المصدر السابق، المكان نفسه.

وقال عمران بن موسى الطرسوسي: "جاء رجل فسأل سفيان الثوري عن مسألة فقال له: من أين أنت؟ فقال: من أهل المشرق، قال: أوليس عندكم أعلم أهل المشرق؟ قال:

ISSN : 2410-1818

ومن هو يا أبا عبدالله؟ قال: عبد الله بن المبارك،قال: وهو أعلم أهل المشرق؟ قال: نعم وأهل المغرب" المصدر السابق،ج١٠ص١٦١.

وقال أحمد بن عبدة: "كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوساً في المسجد الحرام فطلع ابن المبارك من الثنية، فقال سفيان: هذا رجل أهل المشرق، فقال فضيل: هذا رجل أهل المشرق والمغرب وما بينهما"، وقال أبو إسحاق الفزاري: "ابن المبارك إمام المسلمين أجمعين" المصدر نفسه، المكان نفسه.

وقال ابن عيينة: "نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك، فما رأيت لهم عليه فضلا إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه" المصدر السابق،ج١٠ص١٦٣.

وقال إبراهيم بن شماس: "رأيت أفقه الناس وأورع الناس وأحفظ الناس، فأما أفقه الناس فابن المبارك، وأما أورع الناس ففضيل بن عياض، وأما أحفظ الناس فوكيع بن الجراح"نفسه،ج١٠ص١٦٤.

ومما ورد من ثناء بعض العلماء في بعضهم من تقدير وتبجيل للمعافى بن عمران، عن بشر بن الحارث قال: "كان ابن المبارك يقول: حدثني ذلك الرجل الصالح -يعني المعافى بن عمران -(ت/١٨٥هـ) وقال بشر: كان سفيان الثوري يقول للمعافى: أنت معافى كاسمك، وكان يسميه الياقوتة "الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣ص٢٢٨.

وقال ابن عمار: "كنت عند عيسى بن يونس بالحدث، فقال لي: ممن أنت؟ قلت من أهل الموصل، قال: رأيت المعافى بن عمران؟قلت: نعم،قال: سمعت منه؟ قلت:نعم! قال: ما أحسب أحداً رأى المعافى سمع من غيره يريد الله بعلمه" المصدر السابق،ج١٣ص٢٢٩.

ومن الثناء الوارد في أبي إسحاق الفزاري ما قاله أبو داود الطيالسي: "توفي أبو إسحاق الفزاري(ت/١٨٦هـ) وليس على وجه الأرض أحد أفضل منه"الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨ص٥٤٢.

وقال سفيان بن عيينة: "والله ما رأيت أحداً أقدمه على أبي إسحاق الفزاري"، وقال عطاء الخفاف:" كنت عند الأوزاعي فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق الفزاري، فقال

ISSN : 2410-1818

لكاتبه: ابدأ به فإنه والله خير مني"، وقال علي بن بكار الزاهد: "رأيت ابن عون فمن بعده ما رأيت فيهم أفقه من أبي إسحاق الفزاري" المصدر السابق، المكان نفسه.

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: "قلت لأبي أسامة: أيهما أفضل: فضيل بن عياض أو أبو إسحاق الفزاري؟ فقال: كان فضيل رجل نفسه، وكان أبو إسحاق رجل عامة"نفسه، ص٥٤٣.

ومما ورد من ثناء بعض العلماء في سفيان بن عيينة ما قاله عبد الله بن المبارك: "سئل سفيان الثوري عن سفيان بن عيينة (ت/١٩٦هـ) فقال: ذاك أحد الأحدين، يقول: ليس له نظير"، "وقال عبد الله بن وهب: لاأعلم أحدا أعلم بتفسير القرآن من سفيان بن عيينة"،وقال نعيم بن حماد: كان ابن عيينة من أعلم الناس بالقرآن، وما رأيت أحدا أجمع لمتفرق من ابن عيينة"الرازي، تقدمة الجرح، ص٣٣.

ومن الثناء الوارد في وكيع بن الجراح ما قاله أحمد بن أبي الحواري: "أشهد على أحمد بن حنبل أنه قال: الثبت عندنا بالعراق وكيع بن الجراح(ت/١٩٧هـ)،ويحي بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي" المصدر السابق، ص٢٣١.

وقال يحي بن يمان: "قال الثوري: ونظر إلى وكيع بن الجراح: إن هذا الرقاشي لايموت حتى يكون له شأن، فذهب سفيان وقعد وكيع مكانه"الأصبهاني، الحلية، ج٨ص٣٦٩.

وقال يحي بن معين: "والله ما رأيت أحد اً يحدِّثُ لله غير وكيع، وما رأيت رجلا أحفظ من وكيع، وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه" المصدر السابق، ج٨، ص٣٧٠.

وقال جرير الرازي: "قدم ابن المبارك فقلت له: يا أبا عبد الرحمن من خلفت بالعراق؟ قال وكيع، قلت: ثم من؟ قال: ثم وكيع" المصدر نفسه، ج٨، ص٣٧١.

وقال أبو عمار: "أخبرت عن شريك أن رجلاً قدَّم إليه رجلا، فادعى عليه مائة ألف دينار، قال: فأقرَّ به، قال: فقال شريك: أما لو أنه أنكر لم أقبل عليه شهادة أحد بالكوفة إلا شهادة وكيع بن الجراح وعبد الله بن نمير "الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣ص٤٦٩، ابن منظور، مصدر سابق، ج٢٦، ص٢٩٤.

ISSN : 2410-1818

وقال أحمد بن حنبل: "ما رأيت رجلا قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب، مع خشوع وورع"، وقال: ما رأت عيني مثله قط، يحفظ الحديث جيدا، ويذاكر بالفقه فيحسن، مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد "تاريخ بغداد، مصدر سابق، ج١٣ص٤٧٤.

تلك كانت بعض الممارسات العملية لهذا المبدأ العلمي من بعض علماء القرن الثاني فيما يتعلق بعلاقتهم العلمية بإخوانهم العلماء، وهو سلوك يتميز بالتقدير والاحترام والثناء والذكر الحسن لهم، ويأتي عرض تلك الممارسات العلمية والخلقية للعلماء بهدف الاقتداء والتأسي بها من قبل العلماء والمعلمين والدعاة وطلاب العلم في العصر الحاضر لما فيها من فوائد تربوية كثيرة، إذ ينبغي عليهم أن يذكروا إخوانهم العلماء من أقرانهم فضلا عن ذكرهم لعلمائهم ومشايخهم بالخير، وأن يقدرونهم ويحترمونهم، وهذا ما تحرص التربية الإسلامية وتسعى إلى غرسه في نفوس وسلوك الكبار والناشئة خاصة العلماء والباحثين في المؤسسات العلمية والبحثية وكل مؤسسات التعليم، مع الحرص على تربيتهم على حرية التفكير، واستقلالية الرأي، والقراءة الناقدة، والسلوك الناقد الصادق، والبعد عن التقديس للعلماء والإمعية في كل شيئ، وعدم غمط الآخرين حقوقهم، وعدم انتقاصهم والتقليل من شأنهم، كل ذلك يتم التأكيد على أهميته وضرورة غرسه فيهم مع تربيتهم على حب العلماء، وتقديرهم، والتواضع لهم، وطاعتهم، والاعتراف بفضلهم.

وكم سيكون الأمر حسناً عندما يكون هذا السلوك سائداً ومطبقاً في المؤسسات العلمية في البلدان الإسلامية في هذا العصر من احترام أعضاء هيئة التدريس لبعضهم والبعد عن الحسد والغيرة المفرطة التي تؤدي إلى الكراهية وعدم حب الخير للآخرين والانتقاص منهم وغمطهم حقوقهم وغير ذلك من السلبيات والأمراض التي تنتشر في الأوساط العلمية وبين أعضاء هيئة التدريس والعلماء عامة في الجامعات والمراكز العلمية والكليات والمدارس، وتنعكس على طلبة العلم وعلى المجتمع فلا نرى للعلماء مكانة وتقديراً في المجتمع لأن العلماء أنفسهم لم يعرفوا للعلم قدراً بل أهانوا العلم فأهانهم المجتمع ولم يعرف لهم قدرهم، وأهانتهم المؤسسات الحكومية فلم تعرف لهم قدرهم.

ISSN : 2410-1818

ثالثاً -مبدأ تقدير المجتمع للعلماء :

إن المبادئ العلمية التي تؤكد احترام وتقدير العلماء من قبل شرائح المجتمع المختلفة الخاصة منها والعامة كثيرة متعددة ومنها مبدأ تقدير واحترام المجتمع بكل فئاته للعلماء وهو تقدير واحترام نابع من ثقافة مجتمعية منتشرة ومعرفة حقيقية بقدر ومكانة وفضل العلم، وكذا يأتي هذا التقدير من المجتمع من معرفة لسلوك العلماء وتقديرهم لخطورة المهمة التي يحملون وهي حمل العلم فعرفوا ذلك واستشعروا المسؤولية التي تقع على العلماء فقدروها حق قدرها فانعكس ذلك على المجتمع الذي يعيشون فيه، فعرف لهم الفضل وحفظ لهم المكانة، وهذا عام في المجتمع كله حكامه ومسؤوليه وعامة المجتمع، فمن الأمثلة على تقدير الخاصة من الحكام والأمراء والقضاة والوجهاء والأعيان للعلماء: ما ذكره أبو زنبور الشيخ الذي ينسب إلى سكة أبي زنبور قال :رأيت سفيان الثوري(ت/١٦١هـ) بالري في سكة الزبير بن عدي، والزبير على القضاء، والزبير يستفتي الثوري في قضايا ترد عليه ويفتيه الثوري ويقضي به"الرازي، تقدمة الجرح والتعديل، ص٨٣.

وهذا يدخل في باب معرفة الحاكم أو القاضي أو الأمير لمكانة العالم وقدر ومكانة العلم فيقوده ذلك إلى تقديمه وتقديره واستشارته واستفتائه والعمل بما يشير عليه وبما يفتي به تقديرا للعلم والعلماء.

ومما يؤكد على ما يحظى به العلماء المخلصين العاملين من تقدير واحترام من قبل الحكام ما ورد عن مسعربن كدام حيث قال: "دخلت على أبي جعفر(المنصور) فقال:لو كان الناس كلهم مثلك لخرجت فمشيت بين أظهرهم"الأصبهاني، الحلية، ج٧، ص٢١٤.

ومما يدخل في تقدير الأمراء للعلماء وهو تقدير نابع عن معرفة بما للعلم من مكانة عندهم، ما ذكر عن محمد بن واسع(ت/١٢٢هـ) أنه غزا مع قتيبة بن مسلم، فأصابتهم شدة حتى خافوا الهلاك،فقال قتيبة: انظروا محمد بن واسع؛ فطُلب فوجدوه في صحراء قائماً على ركبتيه يدعو ويشير بأصبعه، فأخبر قتيبة بذلك فقال: قتيبة: احملوا على القوم فإن الله لايضيع جيشاً فيهم محمد بن واسع.. "ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٣ص٢٨٦.

ISSN : 2410-1818

وهذا السلوك من قتيبة دليل على مكانة العلم والعلماء في نفوس القادة وأمراء الجيوش، وهو سلوك يبين كيف كانوا يقدرون العلم والعلماء، ويقدرون الجانب الديني والتدين الصادق والصحيح كعامل هام من عوامل النصر على العدو.

وإذا احترم العالم نفسه واحترم علمه وعرف مكانة العلم وحامليه ومسئوليتهم أمام الله والناس فإنه بذلك يفرض احترامه على الناس فرضاً، بل إن الحاكم ولو لم يكن متفقاً معه، فإنه يحترمه ويقدره لأنه عرف أنه أهل لأن يحترم ويقدر وعلم أنه لا يتنازل عن مبادئه وعن مواقفه المنطلقة من إخلاصه لله رب العالمين، ولا تغره الإغراءات المادية الزائلة مهما يكن حجمها، بل يرفضها ويرضى أن يعيش فقيراً معدماً، مرفوع الرأس، لا يتنازل عن مبادئه وقيمه، ولا يرضى لنفسه أن يكون قدوة سيئة للناس في مجتمعه، مقابل منصب أو مال زائل.

وفي هذا الموقف ما يشير إلى أن العالم الذي يحترم علمه ولا يبيعه أو يهينه من أجل عرض من الدنيا، ولا يقبل أن يسيئ إلى دينه، فإنه يحظى باحترام الحاكم حتى لو لم يكن راضيا عنه لأنه استقام على دينه وأخلص لله في تدينه وفي علمه، وهو ما جعله يرفض أن يكون ألعوبة بيد الحاكم يستغله ويوجهه لتحقيق أغراض تتنافى مع الدين الذي ينتسب إليه والعلم الذي يحمله، قال عبد الوهاب بن عبد الحكم: "لما مات ابن المبارك بلغني أن هارون أمير المؤمنين قال: مات سيد العلماء "الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج١٠ص١٦٣.

ولقد كان بعض الأمراء والحكام يعرفون للعلماء قدرهم ومكانتهم، قال عبد الرحمن بن صالح: دخل أبو بكر بن عياش(ت/١٩٣هـ) على موسى بن عيسى -وهو على الكوفة -وعنده عبد الله بن مصعب الزبيري، وأدناه موسى ودعا له بتكاء، فاتكأ وبسط رجليه، فقال الزبيري: من هذا الذي دخل ولم يستأذن له، ثم اتكأته وبسطته؟ قال: هذا فقيه الفقهاء والرأس عند أهل المصر: أبو بكر بن عياش، قال الزبيري: فلا كثير ولا طيب ولا مستحق لكل ما فعلته به، فقال أبو بكر: يا أيها الأمير: من هذا الذي يسأل عني ثم تتابع في جهله بسوء قول وفعل، فنسبه له،فقال: اسكت مسكتاً فبأبيك غُدِرَ ببيعتنا، وبقول الزور خرجت أُمُّنا، وبابنه هُدِمَتْ كعبتنا، وبك أحرى أن يخرج الدجال فينا،قال: فضحك موسى حتى فحص برجليه

ISSN : 2410-1818

وقال للزبيري: أنا والله أعلم أنه يحوط أهلك وأباك ويتولاه، ولكنك مشئومٌ على آبائك" الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ،ج١٤ص٣٧٥.

ومن المواقف التي تشير إلى احترام الحكام للعلماء وتقدير مكانتهم ما ذكره أبو معاوية الضرير(ت/١٩٥هـ)قال: "أكلت مع الرشيد هارون طعاماً يوماً فصب على يديَّ رجلٌ لا أعرفه، فقال الرشيد: يا أبا معاوية هل تدري من يصب على يديك؟ قلت: لا ، قال: أنا ، قلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: نعم إجلالاً للعلم" ابن منظور، مصدرسابق، ج٢٧ص١٣.

وهذا من تقدير الحكام للعلماء وإجلالهم للعلم، ومعرفتهم قدره وقدر من يحمله، ولو حصل هذا التقدير للعلماء، وهذا الإجلال للعلم فإنه نابع من معرفة وعلم بفضل وقيمة العلم وبقدر العلماء وعظم المسؤولية التي يحملون، ولأن الحكام في ذلك العصر كانوا على درجة من العلم والمعرفة فإن الكثير منهم لم يكن يقرب العلماء لتحقيق غرض ذاتي أو مصلحة دنيوية، أو بقصد استمالة العالم واستدراجه ليفتي على هوى الحاكم ويسير في ركابه، ،بل كان الهدف هو الاستفادة من أولئك العلماء والاستعانة بهم في تولي أمور القضاء وأعمال علمية واجتماعية وسياسية أخرى، ولو حصل أن اتفق العلماء والأمراء على الخير وتحقيق العدل وإحقاق الحق لو حدث ذلك لحصل خيرٌ كثير يعود نفعه ويعمُّ خيره الأمة كلها لأن ركنان هامان هما السيف ويمثله الحاكم والقلم ويمثله العالم قد تآلفا وتعاونا على الخير وبتآلفهما وتعاونهما يصلح المجتمع .

ومن المؤكد أن العلماء العاملون المخلصون في كل زمان ومكان يحظون بتقدير الناس لهم وتعظيمهم ومحبتهم، ومن المواقف التي تشير إلى هذا التقدير الذي صار مبدأ راسخا في المجتمع، ما ذكره شعيب بن شعبة المصيصي قال: قدم هارون الرشيد أمير المؤمنين الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: ماهذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان، قد م الرقة يقال له :عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلاَّ بشرط وأعوان" المصدر السابق، المكان نفسه، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير،ج١٠ص١٨٤.

ISSN : 2410-1818

وهذه المكانة التي يحظى بها العالم عند الناس تأتي من مكانته عند الله وعند ملائكته، هذا إذا كان من العلماء الربانيين الذين يقدرون المسئولية التي تقع عليهم جراء حملهم للعلم.

تلك كانت بعض المواقف التي تشير إلى تطبيق ذلك المبدأ العلمي من سلوك بعض الحكام والأمراء والوجهاء وعموم أبناء المجتمع من الثناء والاحترام والتقدير للعلماء الهدف من سردها هنا هو العمل على إرساء وترسيخ بعضها مما لا يتعارض مع العصر الذي نعيشه ومما نحن في حاجة ماسة إليه في ميدان الفعل والتطبيق والممارسة في المؤسسات العلمية وفي أوساط العلماء وطلاب العلم، بل وفي ثقافة المجتمع المعاصر حتى تسهم هذه الممارسة بفعالية في تقدم العلم، وتعمل على رفع مكانة العلماء العاملين في المجتمع، وهي مبادئ علمية ترسم صورة حقيقية لما كان للعلم من مكانة ورفعة، ولما كان يحظى به العلماء من تقدير وحب واحترام وتعظيم في نفوس العامة والخاصة، مما ينبغي أن يدفع المسلمين اليوم إلى الاقتداء بهم، في تقدير العلماء العاملين المخلصين، وفي تقدير العلم، لأن هذا المبدأ إن تحقق في الأوساط والمؤسسات العلمية وفي تعامل العلماء مع بعضهم ومع غيرهم فإن ذلك السلوك سينعكس إيجابا على مكانة العلماء لدى العامة والخاصة وسيكون في ذلك خير كثير يعم نفعه المجتمع كله.

رابعاً -مبدأ تقدير العلماء واهتمامهم باللغة العربية:

تظهر المكانة التي كانت تحظى بها اللغة العربية في حرص العلماء على تجنب الخطأ واللحن في اللغة أو اللحن في القرآن الكريم أو اللحن في الحديث النبوي، والمقصود باللحن: الخطأ اللغوي أو النحوي، أو هما معاً، سواء في رواية الحديث، أوفي الكلام عامة.

هناك وظائف أساسية للغات عامة من هذه الوظائف أنها: أداة التفكير ووسيلة التعبير، وأداة التعلم والتعليم، والخزانة التي تحفظ للأمة عقائدها الدينية وتراثها الثقافي، ونشاطاتها العلمية، وتمثل إحدى الروابط بين الناطقين بها، وهي الأداة التي تمكن الموهوبين والعباقرة في كل قوم من إبراز مواهبهم وبدائعهم ليكونوا قادة الأمة ومفكريها وعلمائها. نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص ٣٢.بتصرف.

ISSN : 2410-1818

"إذا كانت هذه هي الوظائف الأساسية للغات عامة، فإن للغة العربية شأنا آخر يزيدها أهمية وخطورة، ويجعل الاهتمام بها أمرا يفرضه هذا الموقع الفريد الذي تميزت به عن سائر اللغات الأخرى، فهي اللغة التي اختارها رب العالمين لتكون لغة الوحي لأهل الأرض جميعا. ومن هنا كان على كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يهتم بها اهتمامه بعقيدته الإسلامية التي يحرص عليها، وأن يعتز بها ويفضلها على لغات الأرض الأخرى بما فيها لغته القومية. وكان على المسلمين العرب بخاصة أن يحلوها مكانتها اللائقة بها، لا لكونها إحدى مقومات العرب ووجودهم فحسب، بل لأن الله شرفها وخلدها بخلود كتابه العزيز، حين قال جل ثناؤه:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (يوسف: آية٢). كما أنها تحمل في أحشائها سنة بنيهم وفقه علمائهم، وحضارة أمتهم وتاريخها وثقافتها لأربعة عشر قرنا خلت" نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها ،ص ٣٢ -٣٣.

لبعض العلماء أقوال في الحث على تجنب اللحن في الكلام، والحرص على إجادة اللغة لطلاب العلم عامة ولطلاب علم الحديث على وجه الخصوص، وفيما يلي أقوال بعض العلماء:

قال الأصمعي: "إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" البخاري (مع فتح الباري) ج١باب: إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم١٠٧ص٢٦٧.،لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه" ابن الصلاح، علوم الحديث،ص٢١٧.

ويرى ابن عبد البر(ت/٤٦٣هـ)أن "مما يستعان به على فهم الحديث وقبل ذلك على فهم القرآن الكريم العلم بلسان العرب ومواقع كلامها وسعة لغتها وأشعارها ومجازها وعموم لفظ مخاطبتها وخصوصه وسائر مذاهبها لمن قدر فهو شيء لا يستغنى عنه وكان عمر بن الخطاب يكتب إلى الآفاق: أن يتعلموا السنة والفرائض واللحن -يعني النحو -كما يتعلم القرآن" جامع بيان العلم،ج٢ص١١٣٢.

ISSN : 2410-1818

أما ابن الصلاح(ت/٦٤٢هـ) فيرى أنه: "حقٌ على طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة مايتخلص به من شين اللحن والتحريف ومعرتهما" علوم الحديث،ص٢١٧ -٢١٨.

ولبعض العلماء ممن عاشوا في القرن الثاني الهجري مواقف وسلوك في مسألة اللحن في الحديث الشريف أوفي اللغة عامة حتى صار ذلك السلوك مبدأ في الحياة العلمية، وفيما يلي بعض تطبيقات ذلك المبدأ عند بعض العلماء في ذلك العصر:

ذكر أن عمر بن عبد العزيز(ت/١٠١هـ) صلى خلف إمامٍ مرةً فسمعه يلحن، فقال له: "لولا فضل الجماعة ما صليتُ خلفكَ لم لا تقرأ العربية على العلماء؟ "الشعراني، تنبيه المغترين،ص١٠٦.

وفي هذا توجيه لمن يتقدم يؤم الناس للصلاة أن يحرص على أن لا يلحن في قراءة القرآن، فإن كان مقصراً فلا يتقدم ليؤم الناس، وليدع من هو أكثر إتقاناً لقراءة القرآن منه.

ومن الممارسات العلمية السلوكية ما ذكره حماد بن زيد قال : كنا عند أيوب السختياني فحدَّثنا فلحن وعنده الخليل بن أحمد فنظر إلى وجهه الخليل، فقال أيوب: "استغفر الله" الرامهرمزي، المحدث الفاصل،ص٥٢٥.

وهذا يشير إلى مكانة اللغة عندهم واستفظاعهم للخطأ فيها إلى درجة اعتبار الخطأ أو اللحن في اللغة ذنباً يوجب الاستغفار.

ومن تطبيقات هذا المبدأ العلمي عند العلماء والتي تشير إلى تعظيم اللغة وتقدير حاملها، ما ذكره عبد الله ابن شبرمة الضبي (ت/١٤٤هـ) قال: "إذا سرَّك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً ويصغر في عينك من كان في عينك عظيماً فتعلَّم العربية فإنها تجريك على المنطق وتدنيك من السلطان "ابن قتيبة، عيون الأخبار،ج٥ص١٥٧.

فهل يعي أهل اللغة عامة والمتخصصون فيها خاصة هذه المكانة للغتهم، فيعيدون إليها الاعتبار والمكانة التي فقدتها بسبب إهمالهم وتقصيرهم في حقها قبل غيرهم.

وقال الأوزاعي حاثا طلبة علم الحديث: "أعربوا الحديث فإن القوم كانوا عربا" الرامهرمزي، المصدر السابق، ص٥٢٤، وانظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر،ج١ص٣٣٩، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ج١٤ص٣٢٣.

ISSN : 2410-1818

وقال: "لابأس بإصلاح الخطأ واللحن في الحديث "الرامهرمزي، المكان نفسه، وابن منظور، المكان نفسه، وانظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر، ج١ص٣٣٩.

وقال أبو مسهر:" كان الأوزاعي لا يلحن "ابن منظور، المصدر السابق، ج١٤ص٣٢٣.

وقال بشر بن أبي بكر: سئل الأوزاعي فقيل: يا أباعمرو الرجل يسمع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه لحن أيقيمه على عربيته؟ قال: نعم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايتكلم إلا بعربي" المصدر السابق، المكان نفسه.

وقال شعبة ابن الحجاج: "إذا كان المحدث لايعرف النحو فهو كالحمار يكون على رأسه مخلاة ليس فيها شعير" البيهقي، شعب الإيمان، ج٢ص٢٦٠.

وقال: "مثل الذي يتعلم الحديث ولا يتعلم النحو مثل البرنس لا رأس له" ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج١ص٦٤، وانظر: جامع بيان العلم، ج٢ص١١٣٣، والجامع للخطيب، ج٢ص٢٦، وعلوم الحديث لابن الصلاح، ص٢١٨.

قال حماد ابن سلمة(ت/١٦٧هـ):"من لحن في حديث فليس يحدث عني" وقال: "ما وجدتم في كتابي عن قتادة لحناً فعربوه، فإن قتادة كان لايلحن" الرامهرمزي، المصدر السابق، ص٥٢٥.

وقال: "من لحن في حديثي فقد كذب علي" الحموي، معجم الأدباء، ج٣ص٢٤٥.

وقال "مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة لاشعير فيها" القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج١ص٣٦٤، وانظر:الجامع للخطيب، ج٢ص٢٧، وعلوم الحديث لابن الصلاح، ص٢١٨.

وقال عبد الله ابن المبارك:" اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدري في الو جه. وقال علي بن الحسن: قلت لابن المبارك: يكون في الحديث لحن أقومه؟ قال: نعم، لأن القوم لم يكونوا يلحنون، اللحن منَّا "ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج١ص٣٥١.

وسأل رجل عبد الله بن إدريس فلحن فيما سأله، فقال ابن إدريس لما رآه يلحن: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴾ مريم آية ٩٠ ثم قال:"لا والله إن حدثتكم اليوم بحديث، وكان ابن إدريس إذا لحن الرجل عنده في كلامه لم يحدثه، قال: وقال:"ليس عندكم بالموصل من يتحدث بالعربية؟ قال: وذاك أني كنت

ISSN : 2410-1818

أسأل، فقال لي علي بن المعافى: دعني حتى أسأل أنا -وكان صاحب عربية -فبقى، فأول ما أخذ يسأل أخطأ خطأً فاحشاً، فأمسك ابن إدريس عن الحديث وحلف ألا يحدثنا ذلك اليوم فلم يحدثنا" الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ،ج٩ص٤١٩.

وقال وكيع ابن الجراح: "أتيت الأعمش أسمع منه الحديث، وكنت ربما لحنت، فقال لي: يا أبا سفيان،تركت ما هو أولى بك من الحديث ،فقلت: يا أبا محمد ،وأي شيء أولى من الحديث؟ فقال: النحو، فأملى علي الأعمش النحو، ثم أملى علي الحديث" الخطيب البغدادي، الجامع ،ج٢ص٢٦.

وقال وكيع: "لاتغيروا الألفاظ إذا كان المعنى واحدا" الخطيب البغدادي، المصدر السابق ،ج٢ص٣٣ .

من ذلك السلوك العلمي العملي لبعض العلماء في تعظيم اللغة والحرص على عدم اللحن فيها سواء في قراءة القرآن، أو رواية الحديث، أو الكلام العادي الذي يجري بين الناس، وهذه الأمثلة إنما هي غيض من فيض يظهر من خلالها بعض اهتمام السلف بالعربية، واعتزازهم بها، وحرصهم على إجادتها وإتقانها، وانتقاصهم لمن لايحسنها من طلاب العلم فضلاً عن العلماء، وحرصهم كذلك على عدم اللحن في الحديث الشريف، وهذا يدل على مكانة لغة القرآن في نفوسهم وحياتهم، وتأتي تلك الشدة من بعضهم تجاه من يلحن في كلامه لتؤكد السلوك العملي الواضح في حبهم للغتهم، وحرصهم على أن تبقى سليمة من التحريف، عزيزة عند أهلها، وأن التساهل في هذا الأمر هو الذي يفضي إلى مزيد من العبث باللغة، ومزيد من التهاون بها وتهميشها ومن ثم إهمالها.

إن طالب العلم المسلم في كل مجالات العلوم ومؤسسات العلم المختلفة في المجتمعات المسلمة في العصر الحاضر وبوجه أخص كليات وأقسام اللغة العربية والشريعة والدراسات الإسلامية ينبغي أن تولي اللغة اهتماما خاصا، وتولي المتعلمين والمتخصصين في هذه التخصصات أهمية في أن يكونوا متمكنين من اللغة العربية لصلتها الوثيقة بتخصصاتهم، فطالب العربية والعلوم الشرعية أكثر طلاب العلم حاجة إلى إجادة اللغة، ليتسنى لهم فهم كلام الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ISSN : 2410-1818

فهما سليما، ومن باب أولى طالب علوم القرآن، فهؤلاء هم أكثر من غيرهم في أمس الحاجة إلى إتقان تعلم العربية وإجادتها والحرص على التحدث بها في محاضراتهم ودروسهم، بل وفي حياتهم اليومية وهذا مما يعيد للغة المكانة اللائقة بها، وأن تحرص المجامع اللغوية في العالم العربي على متابعة كل جديد لتواكب العربية المستجدات وتعريف كل المصطلحات الأجنبية الجديدة التي تقذف بها الشركات والمصانع والمنتجات والمخترعات.

أما علماء اللغة العربية فأولى بهم ثم أولى بهم أن يهتموا الاهتمام اللائق باللغة، وأن يكونوا الأسوة الحسنة لطلابهم وأبناء مجتمعهم.

وأما طالب العربية اليوم فالأنظار موجهة إليه، فليحرص على أن يكون جديراً بحمل مسؤولية الاهتمام باللغة، وإن كان الجميع تقع عليهم المسؤولية، فإنه يتحمل القسط الأكبر منها، فعليه أن يكون أسوة حسنة لغيره.

ويجب أن يمتد الاهتمام باللغة إلى مؤسسات الثقافة والإعلام نظرا لاتساعها واتساع انتشارها وخطورة تأثيرها في المجتمعات، وعليها أن تولي اللغة اهتماما في برامجها وفي الشروط والمعايير التي تضعها في اختيار المنتسبين إليها خاصة أولئك الذين يتصدرون البرامج الإخبارية والحوارية في القنوات الفضائية والمحلية والإذاعات، وكذا كتاب الصحافة وغيرهم.

النتائج :

في ختام البحث توصل الباحث إلى جملة من النتائج على النحو الآتي:

نتيجة السلوك العلمي الجاد من قبل العلماء في ذلك العصر ترسخت في حياتهم جملة من التقاليد العلمية التي صارت بفعل الممارسة مبادئ علمية لايمكن تجاوزها أو غض الطرف عنها ومن هذه المبادئ:

١) مبدأ تقدير العلماء للعلم انطلاقا من معرفتهم لقدر ومكانة العلم والمسؤولية التي يفرضها العلم على حامليه، وهو ما جعل الغالبية العظمى من العلماء في ذلك العصر يفرضون هذه المكانة وهذا التقدير للعلم من خلال سلوكهم العلمي في المجتمع.

ISSN : 2410-1818

٢) انطلاقا من معرفتهم بقدر ومكانة ومسؤولية العلم جاء مبدأ تقدير العلماء لبعضهم من حفظ مكانة بعضهم لبعض وإحسان الظن من بعضهم لبعض، وثناء بعضهم على بعض، مما انعكس هذا التقدير من العلماء لبعضهم على تقدير المجتمع لهم.

٣) نظرا للوعي الذي كان منتشرا والعلم الذي كان حاضرا ومقدرا في أوساط المجتمع، وانطلاقا من احترام العلماء للعلم أولا ولبعضهم ثانيا جاء تقدير المجتمع لهم فأعلى مقامهم ونظر إليهم باحترام وتقدير، وكان هذا التقدير والاحترام عاما من قبل الحكام والأمراء والخاصة والعامة.

٤) نظرا للعلم الذي كان يحمله العلماء في تلك الفترة انعكس هذا على اهتمامهم واحترامهم وحرصهم على كل العلوم وفي مقدمتها علوم اللغة العربية لغة القرآن الكريم فعرف أولئك العلماء قدر ومكانة اللغة فاهتموا بها اهتمامهم بعلوم الشريعة فأتقنوها وعملوا على تعلميها لطلاب العلم ولم يكونوا يسمحون باللحن فيها في أي فرع من فروع العلم وهم بسلوكهم هذا جعلوا المجتمع كله يحترم ويصون اللغة عن الابتذال والاهمال والتهميش.

التوصيات:

في ضوء ما خلص البحث إليه من نتائج توصل الباحث إلى التوصيات الآتية:

١) يوصي الباحث المؤسسات العلمية في اليمن وفي مقدمتها الجامعات ومراكز الأبحاث أن تطبق بصرامة المعايير العلمية في اختيار وقبول الأساتذة والباحثين والمعيدين بحيث تتوفر فيهم الصفات الشخصية والعلمية والخلقية والاستعدادات والقدرات العلمية والبحثية وما يجب أن يتوفر في العالم من معايير وصفات لأن ذلك ينعكس سلبا أو إيجابا على سمعة الجامعة أو المؤسسة أو مركز البحث أو الجهة العلمية التي ينتمي إليها الباحث، ولايتوقف هذا التأثير وهذه السمعة على المستوى المحلي بل والاقليمي والعالمي.

٢) يوصي الباحث جميع مؤسسات وهيئات الدولة وفي مقدمتها المؤسسات العلمية والبحثية بأن تعلي من شأن العلم والعلماء وأن تعمل جاهدة من خلال مؤسساتها الإعلامية والثقافية على إشاعة ثقافة المحبة والتعارف والتعاون والتسامح والتشارك

ISSN : 2410-1818

بين العلماء لأن من شأن ذلك أن ينعكس إيجابا على سمعة ومكانة العلماء في الأوساط الاجتماعية.

٣) يوصي الباحث المؤسسات الإعلامية والثقافية ومنظمات المجتمع الأهلي بما فيها النقابات والجمعيات أن تولي العلم والعلماء اهتماما لائقا وذلك من خلال تخصيص جزء من ندواتها ومحاضراتها وأنشطتها المختلفة لشريحة العلماء والباحثين والتركيز على الأدوار والمسؤوليات المهمة التي يتحملها العلماء وتعويل المجتمع على العلماء في تغيير حال المجتمع إلى الأحسن، ومن ثم فالمجتمع يكن للعلماء كل التقدير والاحترام والمحبة.

٤) يوصي الباحث المؤسسات العلمية والتعليمية منها على وجه الخصوص وخاصة المعنية منها بتعليم اللغة العربية في الجامعات والمدارس والمراكز العلمية أن يولوا اللغة العربية الاهتمام اللائق لها وأن يحرصوا على التحدث بالفصحى في محاضراتهم ودروسهم وتعاملهم مع الآخرين، كما يوصي المؤسسات الثقافية والإعلامية أن تساهم بدورها في الحفاظ على اللغة العربية واحترامها من خلال الحرص على إتقان أدائها في تلك المؤسسات الإعلامية في القنوات الفضائية والإذاعات وفي الصحافة، وأن يكون المعيار الأول لقبول المتقدمين للعمل في هذه المؤسسات هو إتقان المتقدم للغة العربية، لينعكس هذا على بقية المؤسسات الحكومية والأهلية في المجتمع كله.

مصادر ومراجع البحث:

١) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت/٤٣٠هـ)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،ج٨،٧،٦، ط ٣،بيروت:دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢) الأمين، عبد الله محمد، الرؤية الإسلامية والمسألة الحضارية، كتاب الأمة،العدد١٥٣، محرم ١٤٣٤هـ،السنة الثالثة والثلاثون،وزارة الأوقاف دولة قطر.

٣) البخاري، محمد بن إسماعيل (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني،ج١،طبعة جديدة منقحة عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن عبد الله بن باز ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الكتب العلمية،ط١٤١٠، ١هـ/١٩٨٩م.

ISSN : 2410-1818

٤) البيهقي، أحمد بن الحسين(ت/٤٥٨هـ)شعب الإيمان، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١ ،بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٨٨م.

٥) ابن الجعد الجوهري، أبو الحسن علي(ت/٢٣٠هـ)المسند ،ج٢ ،تحقيق:د.عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي، ط ١ ،الكويت:مكتبة الفلاح، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٦) ابن جماعة، سعد الله (ت/٧٣٣هـ) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دون طبعة، بيروت: دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

٧) الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت/٦٢٦هـ)معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج ٣،ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٨) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت/٤٦٣هـ)تاريخ بغداد ،ج١٣، ١٠، ٩، ٢، ١٤،دون طبعة، بيروت: دار الكتاب العربي، دون تاريخ.

٩) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،ج٢ ، ١ ،تحقيق:محمود الطحان، دون طبعة، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٠) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت/٧٤٣هـ)سير أعلام النبلاء، ج ٧، ٨ ،تحقيق:مجموعة من العلماء، ط ٩ ،بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١١) الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي(ت/٣٢٧هـ)تقدمة الجرح والتعديل، ط ١ ،بيروت:دار إحياء التراث العربي، ١٣٧١هـ/١٩٨٣م.

١٢) الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن(ت/٣٦٠هـ)المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب،ط٣،دون بلد، دار الفكر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٣) الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري(ت/٩٧٣ هـ)تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر، دون طبعة، دمشق: دار أسامة، دون تاريخ.

ISSN : 2410-1818

١٤) الشهيد، الحسان، منهج النظر المعرفي بين أصول الفقه والتاريخ الشاطبي وابن خلدون أنموذجا، كتاب الأمة، العدد ١٤٢، ربيع الأول ١٤٢٣هـ، السنة الحادية والثلاثون.

١٥) ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت/٦٤٣هـ)علوم الحديث، تحقيق وشرح: نور الدين عتر، دون طبعة، دمشق: دار الفكر، تصوير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٦) ابن عبد البر، يوسف بن عمر النمري القرطبي(ت/٤٦٣هـ)بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٧) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط١، الدمام:السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٨) العسكري، أبو الهلال، الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، تحقيق: د.مروان قباني، ط١، بيروت:دار إحياء التراث العربي، ١٣٧١هـ/١٩٨١م.

١٩) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت/٢٧٦هـ)عيون الأخبار، ج٥، دون طبعة، دون مكان: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، دون تاريخ.

٢٠) القرضاوي، يوسف، الرسول والعلم، ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ/١٩٩٥م.

٢١) القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف(ت/٦٢٤هـ)إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج١، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت/٧٧٤هـ)البداية والنهاية، ١٠، تحقيق:أحمد أبو ملحم وآخرون، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٣) مرسي، محمد عبد العليم، كارثة في العالم الإسلامي مأساة النزيف البشري وهجرة العقول، القاهرة: دار الصحوة للنشر، ط١٤٠٧، ١هـ/١٩٨٦.

ISSN : 2410-1818

٢٤) المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١١، ٢١، حققه وضبط نصه وعلق عليه د. بشار عواد معروف، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٢٥) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٤، اختصره على نهج ابن منظور وعنى بتحقيقه: إبراهيم صالح، ط١، دون بلد نشر، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٢٦) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج١٤، تحقيق: روحية النحاس، ط١، دون بلد نشر، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٧) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢١، اختصره على نهج ابن منظور: سكينة الشهابي، ط١، دون بلد نشر، دار الفكر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٨) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٣، عني بتحقيقه: إبراهيم صالح، ط١، دون بلد نشر، دار الفكر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٩) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٥، تحقيق: مأمون الصاغرجي، ط١، دون بلد نشر، دار الفكر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣٠) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٦، تحقيق: أحمد رايت حموش ومحمد ناجي العمر، ط١، دون بلد نشر، دار الفكر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣١) نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، بيروت: دار النفائس، ط١٤١٢، ٤هـ/١٩٩١م.

٣٢) النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف(ت/٦٧٦هـ)المجموع شرح المهذب، ج١، دون طبعة، دون بلد نشر، دار الفكر، دون تاريخ.

٣٣) اليحصبي، عياض بن موسى(ت/٥٤٤هـ)ترتيب المدارك، ج ١، تحقيق: أحمد بكير محمود، دون طبعة، بيروت: دار ومكتبة الحياة، طرابلس: دار ومكتبة الفكر، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م.